وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

العنـــــــوان:

تداولية الخطاب السردي في مقامات جار الله الزمخشـــــــــــــــري

مقاربـــــة فـــــي نماذج مختارة

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي (ل م د)

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالب:

– عماد شوكال

إشراف الأستاذ (ة):

د. بلال محي الدين

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفـــــــة
يوسف عطية	أستاذ محاضر – أ –	رئيسا
بلال محي الدين	أستاذ محاضر – أ –	مشرفا ومقررا
يحيى الشريف عبد الرزاق	أستاذ مساعد – أ –	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وعرفان

قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ صدق الله العظيم

الحمدلله الكريم الجواد، خلق الإنسان من نطفة وجعل له البصر والفؤاد

نحمده تبارك وتعالى عمر الطائعين العباد ونتوكل عليه توكل المخبتين الزهّاد

إذا ما قام العلم راية أمة ✨✨✨✨ فليس لها حتى القيامة نافس

أخص إهدائي إلى الأستاذ الدكتور: محي الدين بلال الأستاذ المشرف الذي تابع تأطير بحثي العلمي المرفوق بتوجيهاته الملمة بالإرشاد على المادة العلمية الخصبة والتزامه بالضبط الدقيق وأخل فواصله.

كما لا أنسى عرفاني وامتناني للأخوي وزميلي اليافعين عاصم وكمال اللذين تقاسما معي أنبل مشاعر الأخوة والحبّ....

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يديم صداقتنا بأجمل اللحظات وأسعد الأوقات

فهرس
الموضوعات

العنـــــــوان	الصفحة

شكر وعرفان
فهرس الموضوعات
مقدمة..... أ – هـ

مدخل: المقامات "دواعي التأليف والمضامين"

أصل المقامات عند المحدثين والمستشرقين..... 13
المقامات في الآداب العالمية..... 15
المقامات المشرقية (ما بعد الهمذاني والحريري) 16
مقامات الأندلسيين والمغاربة..... 18
فن المقامة في الجزائر..... 20
مصطلح السرد في فن المقامات..... 22
الخصائص الفنية للمقامات..... 26
الخصائص الفنية لشكل المقامات..... 28
مقامات جار الله أبو القاسم الزمخشري..... 29

الفصل الأول: السرديات والإستثمار النقدي للتداولية

I–1. السرد بين المفهوم والتنظير الغربي وروافد نشأته عند العرب..... 31
I–1.1. تعريف السرد..... 31
أولا: لغة..... 31
ثانيا: إصطلاحا..... 31
I–2.1. النظريات السردية بحث في الأصول والمقولات 37
أولا: الأصول النقدية للنظرية السردية..... 37
ثانيا: الأصول اللسانية..... 44
ثالثا: الأصول الأدبية..... 47
I–3.1. نشأة السرد العربي وتحولاته الأجناسية..... 51
– السرد العربي الحديث..... 54
أ– الرواية..... 55
ب– المقالة..... 56
ج– القصة القصيرة..... 57
II–2. التداولية؛ ماهيتها وملامحها في الدرس النقدي المعاصر..... 58

II–1.2. النظرية التداولية..... 58
II–2.2. التداولية وعلاقتها بالعلوم المجاورة..... 62
أولا: التداولية واللسانيات..... 62
ثانيا: التداولية والسيمياء..... 63
ثالثا: التداولية والبلاغة..... 64
II–3.2. في المقاربة التداولية للأدب..... 65
أولا: أفعال الكلام..... 66
ثانيا: الإشاريات..... 67
ثالثا: السياق..... 67
رابعا: المقصدية..... 68

الفصل التطبيقي: تداولية الخطاب السردي في مقامات جار الله الزمخشري

تمهيد..... 70
III–1. الأفعال الكلامية في تراكيب المقامات حسب تصنيف جون أوستين..... 71
III–2. الإشاريات..... 80
1. الإشاريات الشخصية..... 80
2. الإشاريات المكانية..... 85
3. الإشاريات الزمانية..... 86
III–3. المقصدية..... 87
IV–4. السياق في مقامات الزمخشري..... 96
خاتمة..... 102
قائمة المصادر والمراجع..... 107
الملاحق..... 111
الملحق رقم 01: بيوغرافيا خاصة بالزمخشري..... 111
الملحق رقم 02: مقامة المراشد..... 113
الملحق رقم 03: مقامة الطاعة..... 114
الملحق رقم 04: مقامة العزلة..... 115
الملحق رقم 05: مقامة التهجد..... 116
الملحق رقم 06: مقامة الفرقان..... 117

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن إنتهج نهجهم وسار على هداهم إلى يوم الدين... أما بعد:

تحتل التداولية فرعا حافلا في فروع اللسانيات الذي يدرس مختلف المحددات التي تتعلق بالتداول اللغوي بالنسبة إلى السياق والمقام بإعتبارهما شرطين أساسيين في الكيفية التي يحصل بها التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبية تدليلا وتوجيها، حيث أن التواصل اللغوي لا يتم فقط بالإستناد على الكفاءة اللغوية وإنما هناك جملة من الشروط غير اللغوية التي تتدخل في تحديد الأداء اللغوي، فالتداوليات هي المجال الذي يهتم بدراسة أفعال الكلام والمقصدية والإستلزام الحواري التخاطبي والإشارة، وذلك بالإشتراك مع مسالك قاطبة قرينة بها كالبلاغة والسيميائيات وتحليل الخطاب والحجاج بلوبياتها الغائرة في فلسفة اللغة والكلام.

إن مقامات الزمخشري هي الكتاب الذي كشف لنا بجلاء عن تاريخ تنسك الزمخشري وغلبة الدين على نفسه، ويظهر أنه أَلَّفَهُ في جوار مكة المكرمة، ويتضح أيضا أنه قد أتم تأليفه بعد مرض العضال سنة 512 هـــ، وتمّمه خمسين مقامة وفيها ينحى باللائمة على هؤلاء الذي يُسَخِّرُونَ عمله وآدابهم للملوك والسلاطين مستفيدا ومفيدا من تجربته الشخصية وهو الذي عاشر الملوك وذوي الجاه والسلطان لذلك ينعى على من يذلون للملوك دون ذلهم لله. به ترصد الأمراض ويحاول أن يقدم لها الدواء بثقافته وفكره ودرايته ، لتحوزها المقاربة التداولية وسط نماذج منتخبة فيما بعد التي ستعكس الثروة اللغوية والملتبسة بالدين الحنيف لدى التجربة الأدبية للزمخشري .

ولقد رصدت دراسات ملامسة وموازية لموضوع الدراسة من بينها دراسة كمال عبد الفتاح حسن بعونوان "دراسة مقامات الزمخشري دراسة فنية موضوعية مقال"، ودراسة

مرعي سليم مرعي احمد بعنوان: "مقامة الزهد للزمخشري دراسة بلاغية نقدية، إضافة إلى دراسة ليوسف البقاعي موسومة بـــ" التأويل في شرح مقامات الزمخشري"

وحتى أضمن لهذا العمل تماسكه، كان عليّ تأطير هذا المنجز بجملة من التساؤلات والإشكاليات الأساسية والتي منها:

- إلى أي مدى ساهمت إجراءات المقاربة التداولية في فك شفرات نصوص المقامة؟
- ما هو المنهج التداولي وما هي أبرز آلياته؟
- هل تَعَاطِي مقامات الزمخشري للقواعد التداولية كفيل في إفادة الغرض التواصلي الذي يداور به إبداعه ذاته منبثقا في أفعال تبليغية يريد به توعيةً خالصةً إستجابة للمخاطب بعيدا عن ما كانت تؤمن بالقواعد التي مررتها المناهج البنيوية والتي تقر بدراسة النص بما يقوله فقط؟
- ما مقاصد الزمخشري من خلقه الإبداعي؟

وقد شخصت الأسباب الذاتية والموضوعية عبر محصلة البحث والدراسة والتنقيب التي دفعتني نحو إرساء التداولية في المقامة.

أسباب اختيار الموضوع:

أ- **الأسباب الذاتية:** الميلُ المُلِحّ وحُبُّ القول فيها وإلقائها ومدارستها وهو ما دفعني للغوص في خباياها.

ب- الأسباب الموضوعية:

- قلة المقاربات التطبيقية حول المدونة.
- الوقوف على موقف المقاربة المتبعة ونظرتها حول الظاهرة النثرية والتعامل معها بأدواتها التحليلية وآلياتها كونها لا تتميز بالثبات بل هي متحركة ومتعددة ومتوالدة.

– تضارب تصورات المنهمكين في البحث التداولي بين رؤاهم المعرفية التي تتسابق بين الأطر الفلسفية والجهود اللسانية التي قذفت بعلم الدورة الكلامية المعاصرة ألا وهو التداولية وكيف إنحرفت ترجمة المصطلح في الإستعمال اللغوي المتشعب الذي قد يؤدي لفقدان معناه الحقيقي إنطلاقا من كانط فبيرس وصولا إلى ويليام جيمس بما في ذلك ترجمة زكي نجيب محمود الذي أرصد له المقابل النفعي وإنتهى بالتعريب مع طه عبد الرحمان بالتداوليات "التداولية".

– وللإجابة على هذه الإشكالية قمت ببناء خطة تتكون من مدخل تحدثت فيه عن فن المقامات ونشأتها "دواعي التأليف والمضامين" وفصل نظري ضمنته حديثا عن السرديات وإستثمار آليات المنهج التداولي في مقاربة المدونة، إضافة إلى الحديث عن النظريات السردية عند الكثير من مُنَظِّرِيهَا ونقادها الأجانب وعالج نشأة السردية العربية قديما وحديثا وتفاقم أنواعها الأدبية في المبحث الأول، أما في بداية المبحث الثاني فقد تطرّقت للكلام عن التداولية كعلم لساني جديد في خدمته للمعطيات اللغوية والعلائق التي تربطها مع علوم تلتقي معها وأهم مصطلحاتها الإرتكازية وبلورتها في خارطة النقد المعاصر.

أما الفصل التطبيقي المعنون بـــ"تداولية الخطاب السردي في مقامات جار الله الزمخشري – مقاربة في نماذج مختارة"، حيث عاينت الأفعال الكلامية والإشاريات وأبعادها الشخصية والمكانية والزمانية بواسطة الظرفية والضمائر التي أعانت على هندستها من حيث نوعها وطبيعتها وفاعلية السياق والمقتضيات البلاغية الثلاث؛ السجع، الإستعارة، والتشبيه وأضربه، والأساليب بدفتيها الإنشائية والخبرية، والملاحق التي عدت المدونة الخاضعة للمنهج المكرّس "التداولية" وختمت بحثي بما حصل وما حمل من النتائج التي توصلت إليها من واجهات البحث على أكمل وجه، ثم تبعتها بمذيّلة القائمة المخصّصة بالمصادر والمراجع والفهرست التي أحالت للمحتوى النظري المسطّر بالكم المقبول.

وقد واجهت بعض العقبات في بحثي ولعل أهمها: إنعدام كتاب "شرح مقامات الزمخشري" الذي يبعث على الشرح المفرداتي والتحقيق في نسبتها لبعض رؤوس العلم والفقه والبلاغة والمعجمية ومآرب المبهم لبعض الأشطر، وكل ما إستطعت الإطلاع عليه إنما كان تنظيرات تداولية، لذلك جهدت نفسي في فهم تلك التنظيرات والخروج منها بفهم متواضع طبّقته على نماذج خمس من مقامات جار الله الزمخشري.

ولهذا السبب إخترت المقاربة التداولية وهي من المقاربات المعاصرة التي تفرّعت عن اللسانيات وعلوم الدلالة والسيمياء والبلاغة وينصبّ إهتمامها بدراسة النص الأدبي بمستوييه السطحي والعميق ويؤَوِّلُها للوقوف على خصائصه ومميزاته وحقيقته، ومن هنا وُسِمَ عنوان البحث بتداولية الخطاب السردي في مقامات جار الله الزمخشري.

وقد تطلبت الدراسة الإحتكام بأهم مزايا النظرية التداولية للبنية اللغوية في نصوص الزمخشري الضليعة المرصودة في كتابه المعنون "المقامات" ولأن غايات هذه الدراسة التداولية التركيز على تحليل السمات التداولية البارزة ضمن النسيج المركب بالإعتماد على النص النثري في حد ذاته، مما جعل البحث أكثر إتساعا وإثراءًا، حيث تداخلت فيه قضايا المقاربة التداولية 'أفعال الكلام، الإشاريات، المقصدية، السياق" مع بعضها البعض، فلم يغفل البحث عن الإشارة إلى الجوانب الدلالية والإستعمالية أثناء تناول الفعل الكلامي الإنجازي والتأثيري والمستلزمات الإشارية وقصدياتها والسياق الذي وردت فيه.

وبالنسبة للمنهج المتبع فهو المنهج التداولي الذي سارت عليه الدراسة، كما يعد من المناهج التي يتوصل بها النتائج الدقيقة وطرق الإستدلال التي يتبعها ليظفر بـــ: "تحليلها – الكشف عن حقول الدلالات ووظائفها النصية بين مقامي: المتكلم / المستعمل، إظهار القوانين البلاغية والنحوية الداخلية ومنبر إستعمالها التواصلي التحادثي – إنارة هيكل الأبنية الشكلية

للمقامات والوصول إلى ما تكتنزه من مضمون ورؤية العلاقة بين هذا المضمون وما هو داخل وخارج هاته المقامات.

وقد تطرقت للحديث عن التداولية ومفاتيحها المصطلحية ومجالاتها وعلاقاتها بالعلوم الأخرى أُوجِزَتْ بستة مراجع منقحة من صيب المادة العلمية التي عكفت على الإلتزام والإستعانة بفهارسها التي أشادت بمباحث ومطالب بحثنا المتواضع نذكر منها: "المقاربة التداولية للأدب" لإلفي بولان، المدونة رهن الدراسة "مقامات جار الله الزمخشري"، كتاب "فن المقامات في الأدب العربي" للناقد الدكتور عبد المالك مرتاض، كتاب "فن المقامات بين المشرق والمغرب" ليوسف نور عوض، وكتاب "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" لصاحبه حميد لحميداني، وأخيرا كتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث" للأستاذ طه عبد الرحمان.

وأنا إذا أستمتع بعناء البحث أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور بلال محي الدين الذي قدم لي المساعدات الممكنة والإرشادات الحريصة بالتسهيل في الحصول على عمدة المراجع والإشارة عليَّ بالتحويل على المنهج المناسب والخطوات المتبعة التي إفترضتها المدونة، فجزاه الله عني أحسن الجزاء.

فن المقامات

دواعي التأليف والمضامين

لقد خطى النثر العربي في العصر العباسي خطوات جبارة وذلك بفعل عدة عوامل ساهمت في رُقِيِّهِ وإزدهاره، إذ شجع الخلفاء الحركة العلمية وعملية الترجمة والنقل من الأمم الأخرى، فإتسعت دائرة الفنون وإستحدثت فيها ألوان جديدة، فالذي لا مطعنة فيه هو أن النثر العربي قد نهض نهضة قوية، خطى على إثرها خطوات واسعة نحو الكمال، فسما بالعقلية العربية سموا يتناسب مع مكانتها لتحلق في آفاق المعرفة، فظهر إلى الوجود ما عرف حينها بفن المقامة، هذا الفن الذي أثرى الفنون النثرية والأنواع المعروفة آنذاك.

يحيل الجذر اللغوي للمقامة على المجلس، أو على "جماعة من الناس" ولما كانت مجالس الناس تحتم وجود أحاديث في موضوعات كثيرة، أصبحت الدلالة الإصلاحية للمقامة لا تحيل على المجلس مباشرة، بل على الأحاديث التي تلقى فيه، وكانت تلك الأحاديث تُعنى أول الأمر بقضايا الدين، من نصح وإرشاد ووعظ، وأمور اللغة، من ألفاظ ومرويات لغوية ووقائع التاريخ، كأيام العرب وحروبهم وأخبار خلفائهم وولاتهم، قبل أن تنتظم في نمط من الأحاديث التي تتميز بقواعد محددة سواء في شكل الإسناد أو تركيب المتن.[1]

وقد ذهب الشريشي أحد شارحي مقامات الحريري، مذهب الزمخشري وزاده تعليلا وتوضيحا حين قال: "المقامات: المجالس واحدها مقامة، والحديث يجتمع له ويجلس لإستماعه يسمى مقامة ومجلسا، لأن المستمعين للمتحدث ما بين قائم وجالس، ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى".[2]

أما لفظ مقامة من الناحية الصرفية البحتة، فيحتمل أن يكون مصدرا ميميا، كما يحتمل أن يكون إسم مكان، لأن إلحاق الهاء بإسم المكان والمصدر مما يشيع في العربية، ومن آياتنا

[1]- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار صادر، ط4، بيروت، لبنان، مج 07، مادة (ق.ا.م)، 2005، ج12، ص 498.

[2]– حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي، جامعة الأزهر، ط4، القاهرة، مصر، 2007–2008، ص 46.

على ذلك أن سيبويه يرى أن صيغتي "مفعل ومفعلة" تعنيان شيئا واحدا في هذا الباب أي أنهما قد تعنيان المكان، وقد تعنيان المصدر سواء، ذلك بأن العرب "يدخلون الهاء في المواضع"، كما يدخلونها في المصادر، وقد قالوا: "المدعاة والمأدبة، إنما يريدون الدعاء إلى الطعام".[1]

وإذن فمفعلة عند سيبويه تكون للمكان والمصدر جميعا، لأن العرب ألحقت الهاء بكليهما في قولها: المدعاة، وهم إنما يريدون الدعاء، وقولها "الملامة" وهم إنما يريدون الملام".

وإذا تتبّعنا طريق المدلول اللغوي لكلمة مقامة في الموروث الشعري، نجد قول عبد المالك مرتاض: "دعوت إلى دواوين الشعر القديمة، فوقع لي عشرة أبيات" نكتفي بذكر ثلاثة منها:

قال مالك بن حريم الهمذاني:

وأقبل إخوان الصفاء فأوضعوا *** إلى كل إخوَّى في المقامة أفرعا.[2]

والمقامة في بيت مالك بن حريم يجب أن تعني المجلس أو النادي، لأن السياق الكلام في البيت يدل على ذلك فإخوان الصفاء يسارعون في المجلس، إلى كل شاب أسود الشعر طويله، فكان شيب الشاعر زهد فيه أعز إخوانه، ورغب عنه أوفى أصدقائه.

وقال زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مقامات "حسان" وجوهها *** وأندية ينتابها القول والفعل

[1]– عبد الله إبراهيم، النثر العربي القديم – بحث في البنية السردية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، د.ط، الدوحة، قطر، 2002، ص 208.

[2]– عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1988، ص 09.

فإن مقامات في بيت زهير لا تعني المجالس ولا النوادي، لأن المجالس لا توصف بحسن الوجه، وإنما يوصف بذلك من يجلس فيها.

وقال لبيد:

ومقامة غلب الرقاب كأنهم *** جن لدى باب الحمير قام

وقد فسر ابن منظور المقامة في هذا البيت على أنها الجماعة من الناس، فهذا البيت إذن يشبه بيت زهير من حيث دلالة "مقامة" فيهما على جماعة من الناس.

أما في الإصطلاح يفصل يوسف نور عوض أكثر في تعريفه للمقامة حيث يقول: "إن المقامة تمثلت في حديث يلقى على جماعة من الناس إما بغرض النصح والإرشاد وإما بغرض الثقافة العامة أو التسول ويعرفها أيضا ركان الصديفي بقول: بأنها قصص قصيرة متعددة ومتسلسلة تتناول موضوعا واحدا مثل الكدية تقوم على شخصيتين أساسيتين هما الراوي والبطل المكدي وتقدم بأسلوب منمق يعتمد على إنجازات فن البلاغة ولاسيما السجع وفق بنية خاصة ثابتة تميزها من باقي القصص".[1]

خصّص ابن قتيبة فصلا كاملا للحديث عن المقامات وذلك في كتابه "عيون الأخبار"، وقد عنون فصله هذا بـــ:"مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك"، ولكن ابن قتيبة لم يصطنع هذا اللفظ في حال الإفراد بالهاء، وإنما آثر "المقام" المجرد عنها، ثم إستخدم اللفظ نفسه في صيغة الجمع في كتابه "الشعر والشعراء" وذلك في معرض حديثه عن الأوقات التي يرد فيها الشعر على الخواطر، وينهال النثر الفني الجميل على القرائح، فقال: وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذر على الكاتب وعلى البليغ الخطيب".

[1]– يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ص 08.

والذي يتأمل كلام الإستعماليين في كلا الكتابتين عند ابن قتيبة، يقتنع بأن مقامات "الشعر والشعراء" تخالف مقامات "عيون الأخبار" وهي هنا تعني الكلام يقال في المواعظ والتزهيد في الدنيا. وهنا لا نعني مواقف المناظرة، ومواطن المجادلة بين الناس في الظروف المداهمة، فهي إذن في معنى الخطب، وورودها بين الرسائل والجوابات يؤيد ذلك ويدعمه.

إن الذي يستقرئ كتب الجاحظ المتداولة المعروفة، ويقرؤها بتمعن لا يكاد يجد ذكر لفظ "مقامة" بهاء التأنيث إلا في كتاب "البيان والتبيين" و"العثمانية"، أما في البيان والتبيين فقد ذكر عدة مرات، ومن ذلك قوله: "مقامات الشعراء في الجاهلية والإسلام"، والذي يتتبع النص الوارد بعد العنوان يقتنع بأن الجاحظ لمَّا أراد بلفظ "مقامات" "مكانة الشعراء" وأما في كتاب العثمانية فقد غرى الجاحظ بهذا اللفظ إغراءا شديدا حتى أنه ذكره خمس مرات، وإذا كان لا مناص لنا من الإستشهاد بنص يؤيد قولنا، فإننا نؤثر هذا الذي يتحدث فيه الجاحظ عن الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الأحاديث الصحيحة التي يجب أن يستدل بها في مواطن الجدل العقلي، يقول أبو عثمان: "وإنما الخبر الصحيح الذي لا يعتمد بضعف الإسناد، ولا يترك لضعف الأهل ولا يوقف فيه لكثرة المعارض والمناوئ، كنحو ما روينا من مآثرهم في مقاماتهم ومشاهدتهم"، وموقع "مقاماتهم" بين "مآثرهم ومشاهدهم" يعطينا صورة واضحة لمدلول هذا اللفظ الذي نبحث فيه تطوره ومفهومه، فالمآثر نشأت عن المقامات والمشاهد أي أن المكارم والمفاخر نتيجة لمواقف العظماء في الحرب والسلم، والمنافرة والمجادلة[1]، فمفهوم "مقامات" في نص الجاحظ يكاد يؤدي معنى مواقف بالمفهوم اللغوي العام، وعلى أن من التعسف أن ننفي أن يكون لمقامات الجاحظ مدلول آخر غير المواقف وهو المجالس أو الخطب، بل ربما كان هذا المدلول إلى الأذهان أسبق وإلى الإفهام أسرع.

[1]– ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري، الهيئة العامة السورية للكتب، ط1، دمشق، سوريا، 2001، ص 140.

- ابن عبد ربه:

يعد ابن عبد ربه من أكبر الكتّاب الجامعين في الأدب العربي القديم، وهو معروف بكتابه "العقد الفريد" الذي لم يعدم للمقامات ذكرا، ولكن ابن عبد ربه، فيما يبدو، حذا حذو ابن قتيبة إما نقلا من كتابه العيون، أو إستقاءا من طريق روايته ذاتها، والآية على ذلك أن ابن عبد ربه أثبت في كتابه العقد الفريد الأحاديث أو المقامات نفسها التي أثبتها ابن قتيبة من حيث عناوينها، ومن حيث معظم نصوصها.

ويبدو أن ابن عبد ربه كان يفهم مدلول لفظ "مقامة" على أنها عظة مؤثرة، يلقيها زاهد من الزهاد، أو عابد من العباد، أمام خليفة أو أمير، وقد إصطنع اللفظ في "العقد" في حال الإفراد دون هاء التأنيث أيضا، صنيع ابن قتيبة في عيون الأخبار، مما يكاد يؤكد لنا تأثر الثاني بالأول.

عرفت المقامة منذ وقت مبكر في الأوساط الفارسية، فقد ألف القاضي حميد الدين أبو بكر بن عمر البلخي ثلاث وعشرون مقامة على نسق مقامات الحريري وأتمها سنة 551 هـــ، وكذلك عرفت في الأوساط اليهودية والمسيحية الشرقية، فترجموها وصاغوا على مثالها باللغتين العبرية والسريانية وطورا آخر لقد تأثر الأدب العربي – فيما يخص جنسي المقامات – في الأدب الفارسي تأثيرا مباشرا، ففن المقامات ذيع منشأه في اللغة العربية ثم إنتقل إلى اللغة الفارسية، وكانت المقامات الفارسية التي أنشأها القاضي حميد الدين تقليدا لمقامات كل من بديع الزمان الهمذاني والحريري، ولكنه تأثر ببديع الزمان وقلده أكثر، ومن أصحاب هذا الرأي أيضا[1] كريم كشاورزي الذي يقول: "القاضي أبو بكر حميد الدين بن محمد البلخي المتوفى عام 559 هـــ الذي أنشأ مقامات جاءت في أربع وعشرين مقامة ومقدمة وقد أنشأها تقليدا لمقامات كل من بديع الزمان وقاسم بن علي الحريري" ومن القائلين بهذا الرأي

[1]– عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص 19.

الدكتور أمين عبد المجيد الذي يقول: "أنشأ حميد الدين مقامته بالفارسية محاكيا بديع الزمان والحريري في مقاماتهما العربية فبدأ بتأليفها صيف عام 551 هـ وفرغ منها حوالي سنة 555 هـ" وقد إعترف القاضي حميد الدين نفسه بهذه الحقيقة في مقدمة مقاماته إذ قال: "كنت أصلُ الليل والنهار في مطالعة الكتب وأتّخذُ من نفيسها جلساء لوحشتي وإنساءا لوحدتي وقد لاعبت الفلك الدائر (الشطرنج) ونرد الإقبال حتى ظفرت ذات وقت بحسن المصادقة والإتفاق في أثناء نشر تلك الأوراق وطَيِّها بمقامات بديع الزمان الهمذاني وأبي القاسم الحريري، فرأيت هذين البرجين المليئين بالغرور، وهذين البرجين الحافلين بالدرر فقلت لنفسي لتنزل آلاف الرحمات على هذين الرجلين اللذين خلفا هذه النفائس وخلدا على مدى الزمن هذه العرائس، لما حصلت على مقامات الهمذاني والحرير أمرني من كان إمتثال أمره بالنسبة لروحي فرض عين، وعين فرض وكان الإنقياد بحكمة فرضا ودينا في ذمتي".

فكان العصر العباسي هو عصر الإحتكاك الكبير بين الثقافة الفارسية والثقافة العربية ولعل روح التأثير المتبادل... يعكسها القاضي حميد الدين البلخي الذي كتب أقدم مقامات فارسية وصلت إليها وفي المقامات المشهورة بمقامات حميدي، التي تتفق مع المقامات العربية في العناية بالألفاظ وبخاصة صناعة السجع وكذلك الإكثار من الألغاز مثاله في ذلك مثال الحريري، وقد إستخدم في تحقيق غلبة اللفظ على المعاني كثرة الألفاظ العربية التي يصعب على القارئ الفارسي العادي فهمها.

ويصرح الحصري بأن بديع الزمان أنشأ أربعمائة مقامة ومن قبله صرح بذلك الثعالبي في اليتيمة بل صرح به بديع الزمان لابن دريد في أحاديثه يقتضي أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضا.

أصل المقامات عند المحدثين والمستشرقين:

ذهب الأستاذ أحمد ضيف إلى أن أصل المقامة فارسي وأنها إنتقلت من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية وهذا القول مردود عليه من ناحيتين: الناحية الأولى ما ذكره الدكتور حجاب من أن: ظهور المقامات في اللغتين العبرية والسريانية كان بعد ظهور ترجمة مقامات الحريري إلى السريانية ولو أن المقامات الفارسية سابقة للمقامات العربية لكان الأولى أن تنتقل الترجمة عنها، تماما كما حدث في كتاب كليلة ودمنة الذي ترجم إلى السريانية قبل أن يترجم إلى العربية ولقد كان إعتراف القاضي حميد الدين أبي بكر بن محمود البلخي المتوفى سنة 559 هـــ في مقدمة مقاماته المشهورة بمقامات حميدي دليل أكيد على أن هذه المقامات نقلت من العربية إلى الفارسية فقد ذكر القاضي حميدي أن ترسم في مقامات خطى الحريري والبديع أنه أراد أن يدخل هذا الفن إلى اللغة الفارسية حتى يعرف به مواطنيه وحتى يحفزهم للتعرف على البلاغة العربية والفارسية معا.

وقد ذكر بروكلمان أن هذا الفن إنتقل بفضل بديع الزمان إلى اللغة الفارسية وأن من عرف من مقامات الفرس هو: القاضي حميد الدين وقد دخلت المقامات إلى العبرية عن طريق الترجمة التي قام بها ابن شلوم والحريري لمقامات الحريري والتي أنشأ على غرارها خمسين مقامة أسماها "سفر تحكموني" أي كتاب الحكمة وقد تضمن كثيرا من آيات التوراة.[1]

أما الناحية الثانية التي يمكننا أن ندلل بها على عروبة المقامة فهي قدرتنا على تتبع الأصول التي صاغ منها بديع الزمان نموذجه الفني وإيجاد نماذج مقامية عربية سبقت أقدم نموذج مقامي فارسي وصل إليها، وذلك قبل مقامات بديع الزمان بوقت طويل.

وقد ذكر "آدم ميتز" أن هذا الأسلوب أخذ عن النظام الكنسي في مصر وهو توسّع في منصب "إمامة" ولقد كان هذا الأسلوب الناجح سببا في نشأة الخصومة التقليدية بين الوعاظ

[1]– يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، ص 08–09.

والقصاص ذلك أن القصاص: إستحوذوا على قلوب الجماهير بما يروونه من قصص مسل وملح ونوادر في الوقت الذي ضجرت فيه الجماهير من أسلوب الوعظ الجاف.

ويرى الدكتور "زكي مبارك" أن أهل القرن الثالث كانوا يعرفون ألوانا من المحاورات الأدبية تعرف بالمقامات ويستشهد في ذلك بوصية ابن المدبر –في رسالة العذراء– للمتأدب بالنظر في كتب المقامات والخطب والمحاورات.

ويرى أن المقامات إنتقلت "إلى كلام المعنفين الذين يتوسلون إلى الأغنياء بكلام مسجوع فيقولون "إرحموا مقامي هذا".

ويرى كذلك أن بديع الزمان حين أنشأ مقاماته تمثل فيها مقامات السائلين في الأسواق والمساجد وقد جعل بكله مشرّدا.[1]

ويظهر أنه صنع في نيسابور أربعين مقامة فقط، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها، فزاد في مدح خلف ابن أحمد في أثناء نزوله عنده، كما زاد خمسا أخرى، وبذلك أصبحت المقامات واحدا وخمسين، ووازن شوقي ضيف بين أحاديث ابن دريد ومقامات الهمذاني، فذكر أن ما رواه القالي في أماليه يدور غالبا حول حكايات عربية قديمة، في حين تدور المقامات حول التسول والكدية، غير أنهما أُلِّفتا لغاية واحدة وهي تعليم الناشئة اللغة.

كان أبو القاسم الحريري قد أقر بأن بديع الزمان الهمذاني مبتدع فن المقامة وأنه سباق غايات وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته، وأكد أنه يريد أن ينشئ مقامات يتلوا فيها "تلو البديع، وإن لم يدرك الضالع شأو الضليع، ومجاراته في تأكيد ريادة الهمذاني لفن

[1]– المرجع السابق، ص 09.

المقامة القلقشندي بقوله أن "أول من فتح باب عمل المقامات، علامة الدهر، وإمام الأدب، البديع الهمذاني".[1]

المقامات في الآداب العالمية:

ومنذ العصور الوسطى، والإختلاط قائم بين الشرق والغرب، بل إنه التاريخ يتحمق التاريخ منذ عصوره الأولى، ومن أجل ذلك يكون الزعم بأن المقامة العربية وجدت طريقها إلى الآداب الأوروبية ليس زعما قائلا، بحكم أنها جزء من الحركة الأدبية العربية، وبحكم أنها جزء من هذه المادة الكبيرة التي نقلت عن العرب إلى أوروبا فتفاعلت معها، وأحدثت نهضتها.

أما في أوروبا فنحن نعرف أن عناصر كثيرة من القصص العربي تغلغلت هناك منذ أواخر العصر الوسيط وأثناء العصر الحديث وخاصة ما كان موضوعه الرحلات وعجائب المخلوقات، وفي كل يوم يظهر الباحثون في عصرنا أن الروح العربي والشرقي على العموم وجد له هناك منافذ وأبواب كثيرة لا في الآثار الممتازة فحسب، بل في القصص الشعبي أيضا.

وقد كان الإتصال بالآداب الشرقية عربية وفارسية من بدع الحركة الرومانسية كما هو معروف عن فيكتور هيجو في فرنسا وجوته في ألمانيا وبيرون وسكوت في إنجلترا، وإذا رجعنا إلى مقامات الحريري وجدنا المستشرقين يعنون بها فتترجم نماذج منها إلى اللاتينية، ثم تترجم إلى الألمانية والإنجليزية، وهذا معناه أنها وضعت تحت أعين القوم ليقرؤوها ويتأثروا بها.[2]

[1]– المرجع السابق، ص 10.

[2]– شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف للنشر، ط3، القاهرة، مصر، 1983، ص 10–11.

المقامات المشرقية (ما بعد الهمذاني والحريري)

نلتقي بطائفة من كتاب المقامة متوزعة بين قرون متوالية، يأتي في مقدمتهم:

أبو بكر بن محسن باعبود صاحب المقامات الهندية وعددها خمسون، ذكرت في فهارس دار الكتب، ويبدو أن النسخة الوحيدة منها مفقودة أيضا، ... فباعبود أراد أن يقدم نماذج سهلة من هذا الفن على عكس النماذج التي وجدناها عند الحريري، وقد أسند روايتها إلى الناصر بن فتاح وأسند بطولتها إلى أبي الظفر الهندي السباح وتدور أحداث المقامات في بلاد الهند ويكون الراوي فيها ضحية لحيل البطل، والمقامات على وجه الإجمال تنقل الفن المقامي نقلة كبيرة في فن القصة القصيرة وموضوع المقامات يدور حول مشكلات المجتمع ولكن ليس عن طريق الأسلوب التعليمي المباشر، بل عن طريق الإشارات واللمحات الفنية الجميلة.

أما اللقيمي صاحب المقامة الرضوانية فلا يقدم جديدا في هذا الفن فقد كتبت مقامته بغرض المدح كما فعل الهمذاني في مدح الأمير خلف وتتفق هذه المقامة في غرضها مع مقامة السويدي التي كتبها بغرض المدح أيضا، وهو غرض من أخص خصائص القصيدة الكلاسيكية وعنصر الرحلة والوصف في فن المقامة قد شجع الكتّاب على كتابة المدح في الديباجة المقامية متى يدخلوا هذا الفن في النثر.

وأهم ما نجده في القرن الثاني عشر مقامة طيف الخيال للشيرازي وهي مقامة طويلة موضوعها مناظرة بين العلم والمال ضمنها المؤلف كثيرا من آرائه في الفكر والأدب والحياة، ونقد فيها الحياة المادية نقدا مريرا.

أما مقامة العمري فهي ذات طابع جديد أيضا، والعنصر السائد فيها هو عنصر البطل وهو عالم جليل قلب له الدهر ظهر المجن ولكنه لم يقف من الحياة موقفا سلبيا، فقد خرج بفلسفته أن كل شيء آيل للزوال فلماذا الضجر.

إنه أول بطل مقامي تتمثل فيه روح الحق والخير المجرد، إنه يرفض مبدأ الإحتيال وهو البذل والتضحية وما يؤخذ على هذه المقامة هو أن بناءها لم يكن متماسكا على الذي وجدناه عند الحريري وبديع الزمان وغيرهما من المقاميين.

أما مقامات ابن الصقيل الجزري فعلى الرغم من الصعوبة التي صادفناها في قراءتها فهي لا تختلف كثيرا عن مقامات الهمذاني والحريري في موضوعاتها وأغراضها، ولقد إنتهج الجزري في هذه المقامات أسلوبا وعرا ربما كان ذلك سببا في تأخرها.[1]

أما مقامة المكازروني فتعبر عن رحلة في مدينة بغداد بعد أن مجد وما آلت إليه من دمار، وقد خرج المكازروني من ذلك بحكمة فحواها أن التنكب عن طريق الدين والإصلاح لابد وأن يقود إلى مثل ذلك الواقع المرير في القرن السابع.

ومقامات ابن المعظم فقد شاركت مقامات الحريري في بعض أهدافها كالإحتيال والوعظ ولكن بإغراق صاحبها في الصنعة بإيراد المقاييس وحشد المفردات الصعبة قد أخل ببنائها وجعل من العسير أن نلمح لهذا الكاتب شخصية أسلوبية ظاهرة، فهو لم يدرك المرامي الحقيقية لفن المقامة غد حصر ذهنه كله في التكلف والإغراق في الوعورة مما أفسد مقامته.[2]

[1]– يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، ص 145–146.

[2]– المرجع نفسه، ص 143–144.

مقامات الأندلسيين والمغاربة:

نبدأ حديثنا بظهور المقامات المغربية في القرن الخامس على يد ابن شرف الذي وصلت لنا منه مقامتان الأولى طابعها نقدي أدبي وهي وصف للشعراء ومزاياهم في الجاهلية والإسلام على غرار الوصف الذي وجدناه في المقامة القريضية للهمذاني، وأما الثانية فتعبر غن موقف طريف وقع عندما رغب شيخ في مضيفه الوسيم، والمقامتان لا تقدمان منهجا متكاملا لكاتب مقامي كما أنه لا صلة بين الموضوعين اللذين عبر عنهما ابن شرف وقد وضح فيهما عنصر التقليد لإبن شهيد، فيبدو أنها جزء تبقى من مقامة طويلة، وهي لا تقدم لنا أيضا ذلك الشكل الذي وجدناه عند بديع الزمان لأنها مجرد مشاهدات وملاحظات عن رحلة قام بها الكاتب.

كذلك فقد كتب الأديب محمد بن مالك القرطبي مقامة بالغة الطول بغرض المدح، وقد خاطب بها ابن الصادح ولم يذكر ابن بسام إلا جزء منها وغرض المدح قد نفق من قبل في المقامات المشرقية عند الحنفي كما لمسناه في مقامات القرن الثاني عشر وقد أورد ابن بسام كذلك جزء من مقامة لإبن المعلم ويرى الدكتور إحسان عباس أنها قيلت في مدح المعتضد وأنها تشبه رسالة ابن زيدون الهزلية من حيث إعتمادها على سرد الأمثال.

أما مقامة الفتح بن طاقان فهي عبارة عن رحلة البطل علي بن هشام من الشمال إلى بلاد الأندلس، وهنالك شك في نسبتها للفتح بن طاقان إذ نسبها بعضهم لأبي عبد الله بن أبي الخصال.

أما أشهر المقاميين في القرن السادس فهو السرقسطي الذي كتب خمسين مقامة أنشأها بقرطبة على غرار المقامات الحريرية، وقد إلتزم ما يلوم وما يؤخذ على هذه المقامات هو تقليدها للمقامات الشرقية بحيث لم تقدم لنا صورا من الحياة الأندلسية.

ومن مقاميي هذا القرن أيضا هو أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني وله ثلاث مقامات الأولى والثالثة في غرض التعليم وأما الثانية فذات هدف أخلاقي وهذه المقامات تنفر من التكلف والصنعة اللفظية وتلك ظاهرة واضحة في كثير من المقامات الأندلسية التي جنحت إلى تسهيل الوعورة التي إتسمت بها مقامات المشرق.

أما المقامة الدوحية لأبي عبد الله محمد بن عياض فلم يذكر منها صاحب المغرب سوى مقدمتها، كذلك فلم نعثر على مقامة علي بن جامع الأوسي غير أن صاحب الذيل والتكملة أشار إليها، ومن إشارته ندرك أن موضوعها نقد للحياة الخلقية والإجتماعية لبعض الأعيان والأغنياء، وهذا موضوع أشارت فيه المقامات المشرقية التي كانت تعبر عن نقمة الطبقة الدنيا والمتوسطة على طبقة الأغنياء.

وقد وجدنا كذلك للسان الدين بن الخطيب ثلاث مقامات: الأولى مقامة السياسة وموضوعها الوعظ وهي شبيهة بمقامات الوعظ لإبن قتيبة، أما المقامة الثانية فلم تلتزم شكلا فنيا خاصا لأنها مجرد وصف للبلدان، وتشاركها الثالثة في هذه الصفة غير أن المؤلف أدخل فيها عنصر الكدية.[1]

كذلك في القرن التاسع فإن لدينا مقامة حضرة الإرتياح المغنية عن الراح لأبي حاتم العاملي المتوفى علم 815 هـــ، وهي ذات مدلول رمزي يرويها أحد الشيوخ ويقوم ببطولتها جماعة من فصحاء العرب بين يدي الملك كتبها العاملي وهو يقضي عقوبة السجن في فاس، فكانت سببا في إخراجه منه ذلك أن التقدير الذي لقيه أبطال المقامة من الملك كان جديرا بها العاملي نفسه، والمقامة إذا خلت من القيمة الرمزية فليس في صياغتها ما يثير.

[1]– المرجع السابق، ص 272.

أما مقامة الفقيه أبي عمر الزجال 844 هـ تسريح النصال فيغلب عليها الهزل أما في مقامة الوباء فيوجه حديثه إلى حمراء الملك، ويلومها لأنها أبقت السلطان في مكان موبوء.[1]

فن المقامة في الجزائر:

لقد كان ظهور فن المقامة في الجزائر نتيجة لظروف سياسية وإجتماعية خلّفها الإستعمار الفرنسي وسياسته الجائرة في حق الشعب الجزائري، ودخول الفرد الجزائري في صراع إيديولوجي بين الحفاظ على الهوية الوطنية بجميع رموزها، الدين واللغة والوطن، أو الإنطواء تحت لواء الثقافة الغربية التي كان غرضها الأساسي المساس بالرموز الوطنية، إذ أصبح الكتّاب منشغلين بقضايا مصيرية ذات بعد سوسيولوجي وسياسي غرضهم في ذلك الإصلاح، وهنا يمكننا أن نميز بين ثلاثة أشكال للمقامات في النثر الجزائري:[2].

1. المقامة الصوفية: وقد عبر فيها أصحابها عن نزاهتهم الروحية مثلما عبروا عن ذلك بالشعر والنثر الصوفيين وكتبوا ما يمكن أن يعتبر مقامة أدبية صوفية، "وقد برع الأمير عبد القادر في هذا النوع من المقامات وذلك بالإعتماد على إستعمال ألفاظ صوفية معروفة مثل: عريف، مقدم...، أما البطل فعادة ما يكون الكاتب نفسه ورحلته في البحث عن الحقيقة في غيائب المجهول، وهذه الرحلة إنما يقوم بها البطل في الكشف عن الذات الإلهية والوصول إلى الحقيقة الروحية وهذه المقامة أشبه ما تكون بالرحلة الدائرية من الأرض إلى السماء ثم من السماء على الأرض، والحركة فيها ليس حركة بالمعنى المألوف، أي ليست بالجسم إنما بالروح، أما مضمونها فلا ينبغي أن ينظر إليه على أساس ما عرف لدى المتصوفة من فهم أو نظر للكون والطبيعة وما بعد الطبيعة لأن هذا هو طريقهم للمعرفة.

[1]– المرجع السابق، ص 272.

[2]– عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، ط2، تونس، 1976، ص 74.

لقد كان الأمير عبد القادر في هاته المقامة يناقش المسائل الروحية بطابع صوفي وبشيء من التفصيل والتركيز على هاته المصطلحات قصد إزالة اللبس عنها، والتعريف بالفكر الصوفي ومصطلحاته وأبعاده الفكرية، وهو هنا يلتقي مع الزمخشري في مقاماته الوعظية لأن كلتا المقامتين غرضهما الوعظ والإرشاد.

2. المقامة الأدبية: أشار عبد الله الركيبي في كتابه "تطور النثر الأدبي الجزائري" إلى أنه قد عثر على واحدة من هاته المقامات يعود تاريخها إلى عام 1903م كتبها عمر بن إبريهمات تحت عنوان مقامة أدبية، وقد كان غرض هذه المقامة إصلاحيا يدعو إلى النهضة واليقظة، بل وتطورت هذه المقامات في أسلوبها أيضا بسبب هاته النهضة الأدبية التي ساعدت على إحياء اللغة العربية وجعلتها أداة للتعبير عما في الوجدان"، وقد إهتم هذا النوع من المقامات بالجانب الإصلاحي فيما يخص الحياة الشعبية بجميع مشاربها "وركزت على الإختلافات حيث إختلفت اللهجات وتباينت المشارب، فهناك الرجل العصري الذي يلبس الطربوش والتقليدي الذي يلبس البرنوس.[1]

عرفها عبد الله الركيبي في كتابه "تطور النثر الجزائري" على أنها مقامات أدبية صيغت بطريقة جديدة وأسلوب جديد، وهذا اللون الجديد في النثر الجزائري عالجه الكاتب (محمد بن علي) وقد أطلقت على هذه المقامات "المقامات العوالية في أخبار العلالية على اللغة العربية"، كتبت هذه المقامات بلغة متفاصحة تجمع بين العامية والفصحى. إن إطلاق صفة الشعبية عليها يعني أنها كانت تُعنَى بإنشغالات الشعب وخاصة تلك الطبقة المتوسطة والكادحة التي غاب صيتها، كما أنها عالجت واقع البيئة الجزائرية آنذاك من إنتشار الآفات، كما أشارت إلى ظاهرة مهمة طغت على الواقع اللغوي وهي تعداد اللهجات في الفكر الجزائري أين نشأ الكاتب محمد بن علي وتنقل بين ربوعه وخالط قبائل كثيرة، وكان هدف

[1]– المرجع السابق، ص 75–76.

هذه المقامات إعادة الصفاء للغة العربية في ألفاظها وتعابيرها وصقلها صقلا يعيد لها بيانها المشرق.

مصطلح السرد في فن المقامات:

على الرغم من أن اللغة العربية عرفت ذلك الشكل السردي الماثل في عمل "كليلة ودمنة" منذ مطلع القرن الثاني للهجرة؛ فإن تلك التجربة السردية ظلت –فيما يبدو– محدودة التأثير، بل كالمنعدمة، ويبدو أنها لم تلقى الرواج الجدير لها، والسيرورة القمينة أي الجديرة بها، في تاريخ تطور الأشكال السردية العربية ولعل ذلك يعود إلى:

أ– أنها عالجت أحداثا رمزية أجرتها على ألسنة حيوانات تتحدث وكأنها تعقل، وتتصارع من أجل البقاء، أو من أجل إرضاء نزعة الأنانية، أو من أجل إشباع الغريزة الحيوانية، أو الشيطانية، إذ حقَّ لنا إصطناع اللغة الأخلاقية في هذا المجال، وكان من العسير على مجتمع شعري منبثق عن حضارة البادية القحة (ونحن مع ذلك لا ننكر وجود حضارة عربية عريقة قبل مجيء الإسلام، ولكن الأدب ظل يعوّل على حضارة الشعر أساسا ... لقرون طوال...) أن يتقبل مثل تلك السرود ويتذوقها، وينسج عليها؛ فيبدع ما يشابهها شكلا أو مضمونا.[1]

ب– أنها نتيجة لذلك، لم تعالج قضايا تتصل بالحياة الإجتماعية، أو العاطفية للعرب على ذلك العهد؛ فلم يلق الناس فيها أنفسهم بشكل بادٍ؛ فزهدوا فيها ورغبوا عنها، ولو على هون، فكان إذن غير ممكن النسج على منوال هذا الشكل السردي في الأدب العربي... وكان يجب الإنتظار إلى نهاية القرن الرابع هجري الذي شهد ميلاد جنسي المقامات، على يد بديع الزمان الهمذاني الذي سارت مقاماته شرقا وغربا،ــ ولقيت شهرة واسعة لمن يلبث أن حمل أبا محمد القاسم الحريري (446 – 516 هــ) على أن يدمج خمسين مقامة أبدى فيها براعة

[1]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، علام المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1442هــ/1992م، ص 144

فائقة باللعب بألفاظ اللغة، قبل كل شيء، ومن المحزن أننا نجد كثيرا من مؤرخي الأدب العربي، أثناء القرن العشرين يتسارعون في إصدار أحكام مصدرها تخلف النقد العربي على مقامات الحريري لمجرد أنها سلكت لنفسها نسجا إيقاعيا في الكتابة، ولتأنقها الشديد في إستعمال ألفاظ اللغة... ونحن نعجب من أحكام هؤلاء الذين إنبروا للتأريخ للأدب العربي؛ فتربصوا قبل أن يتعذبوا ! وإلا لكانوا عدوا لتلك الطريقة في الكتابة ضربا من تأنيق اللغة وتأليفها، وترييضها وتطويعها والتمكين لها في الظهور تحت أساليب مختلفة، ونسوج لغوية مزركشة.

إن المسألة هنا لا تنصرف إلى سوء ذوق الحريري الذي كان يحفظ القرآن ويستظهر عيون النصوص الأدبية الرفيعة النسج من الشعر العربي، وخطب البلغاء ورسائل الأنبياء وأسجاع الكهان، وأمثال العرب السائرة وأحاديثها الطائرة... بمقدار ما تعود إلى تطلعه إلى تطويع اللغة على ذلك النحو الجديد لتبدو معاني ألفاظها في تلك الإيقاعات العجيبة، بل ربما أثناء ذلك إلى شيء من التحدي على طريقته الخاصة... فقد كان الشيخ قادرا من باب أولى على أن يسرد تلك الحكايات في لغة بسيطة... ولكن ذوق ذلك العصر هو الذي كان يتطلب؛ أو أقل: إن ذوق الحريري هو الذي أراد أن يكرس تلك التجربة اللغوية التي ظلت متفردة ليس في الأدب العربي وحده، ولكن في الكتابات الإبداعية العالمية... وإنا، إذن، لا ندين الشيخ الحريري كما لا ندين عصره؛ لأننا نستمع إستماعا كبيرا حين نقرأ تلك المقامات الجميلة البديعة، ولعل الذي حمل النقاد العرب المعاصرين[1] على الحكم بتخلف مقامات الحريري بخاصة، وجنس المقامات بعامة ضعف كبير منهم في اللغة العربية ! نقصد: إلى قلة زادهم في المحفوظ الأدبي القديم، ولعلها السيرة التي قد تكون حالت بينهم وبين تذوق أدب المقامات بعامة، ومقامات الحريري بخاصة، فكأن الشيخ إنما كان يكتب مقاماته للصفوة الصافية على حد تعبيره، من الأدباء لا لمطلق القراء، وعامة المتلقين للرسالة الأدبية.

[1]– المرجع السابق، ص 145–146.

– وإذا كانت النسوج السردية التي تناولتها المقامات (وهي جنس أدبي عربي قح): بسيطة وسطحية، وضحلة المضامين والأفكار؛ فإن العمل فيها باللغة كان منقطع النظير في أي أدب سردي، عبر الآداب العالمية إطلاقا. وما يتبجح به بعض النقاد الجدد الغربيون من ضرورة العمل باللغة وحدها؛ كان الأدب العربي سبق إليه مجسدا في ذلك الشكل السردي العجيب.

ولعل من أجل ذلك راجعوا هذا الشكل السردي العربي الخالص، وترجم إلى لغات كثيرة، ولكن الأدباء اليهود في الأندلس فكتبوا بالعبرية على منواله... كما إنبرى الكتّاب العرب ينسجون عليه في القرون اللاحقة وبلغوا إلى اليوم قريبا من مائة وخمسين كتابا لعل أشهرهم المبتكر بديع الزمان الهمذاني (على غرار أحاديث ابن دريد، وأحاديث الكدية على كل حال...) والحريري المؤسس والمطور.

وكان معظم المقاميين يبتدئون السرد في مقاماتهم، إما بعبارة "حدثنا" وإما بعبارة "حدث" وإما بـــ"حكى" أو بـــ"أخبر" وإما بـــ"حدثني" (وهي أداة سردية كانت تصطنعها شهرزاد في "ألف ليلة وليلة" والتي يصطنعها ابن ناقيا وكان الجاحظ إصطنعها قبل ذلك، في الحقيقة، منذ القرن الثالث للهجرة، في كتابه حكايات الهندي حيث إفتتحها بهذه العبارة "حدثني عمرو بن نهيوي، قال"' وإما بعبارة "أخبرنا".[1]

ولعل الذي يسترعي الإنتباه من بين كل هذه الأشكال السردية جميعا هو عبارة "حدثني" التي تشابه الأداة التي كانت تصطنعها شهرزاد في سرد حكايات ألف ليلة وليلة.

والحق أن هذه العبارات كلها مستقاة من تقاليد رواة الحديث النبوي ورواة اللغة الذين سلكوا مسلكهم في تدوين الأخبار، وإثبات الروايات والتشدد في تقبل النصوص وتصحيحها

[1]– المرجع السابق، ص 146.

وغربلتها وكانت هذه العبارات في أصلها إذن دالة على واقع من التاريخ، أو على تاريخ من الواقع؛ فإنقلبت سيرتها في السرود المقامتية إلى محض خيال، وصرف إبداع.

ولعل عبارة "حدثني" أن تكون ألصق بحميمية السرد، وأدل على كيان "الأنا" وأقدر إحالة على الداخل، وأكفأ في التوغل إلى أعماق الذات لتفجير مكامنها وتعرية مخابئها، عبر نسوج لغوية تتمثل في العالم الخارجي، فتحيله إلى لوحات موقورة بمعاني الحياة، متوهجة بالإشراق، طافحة بالجمال والنور.

إن إصطناع ياء الإتمام، أو ياء الإختيار، أو ياء الذات والتي يطلق عليها علماء النحو العرب: "ياء المتكلم" وما هي في الحقيقة بياء المتكلم ولكنها ياء تأتي من الخارج فتقع على معنى المتكلم... فياء المتكلم مثل التي تكون في "كتابي"... بيد أن هذه أيضا ليست ياء المتكلم، بل هي ياء إحتياز وإمتلاك... وكذلك يطلق عليها في بعض النحو الغربي...) فهي تتيح للسارد (narrateur - narator) الحديث من الداخل، وتجعله يتعرى في صدق وإخلاص وبساطة أمام الفعل السردي، أو أمام المسرود له (narrataire - narrater).[1]

وعلى الرغم من شيوع هذه الأشكال السردية وذيوعها، طوال عشرة قرون من عمر الأدب العربي، فإنها لم تطور الأداة السردية العربية لقصور همم جمهرة المقامتيين على مستوى السرد الفني الرفيع الذي كان بلغه الهمذاني، وبحرية أدنى من ذلك أبو محمد القاسم الحريري، فقد كان معترضا أن ينزع أدب المقامات أو جنس المقامة منزعا سرديا طموحا فيطور من أدواته الداخلية والخارجية، والسطحية والعميقة، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، بل تقهقرت السيرة السردية نحو ما قبل البديع الهمذاني، أي عادت إلى الحافرة، أو إلى الصفر، كما يعبر الرياضياتيون، فظلت المقامات تكرارا لما قيل بأسوأ مما قيل، ولعل أجمل ما فيها الأدوات السردية والشخصيات الأدبية المرحة، الطماعة، الجماعة، المناعة...، ولكن سطحية

[1]– المرجع السابق، ص 146–147.

الموضوعات المعالجة وضحالتها من وجهة، والمبالغة في التأنق في اللغة جعلت منها إبداعات أدبية لغوية لأنها تعالج قضايا إجتماعية وسياسية للمجتمع الذي كتب فيه، وهو ما يطالب النقاد التقليديون أن تكون عليه الكتابة الأدبية بعامة، والكتابة السردية بخاصة...، فهل نصنف جنس المقامات في الأدب الجديد الذي لا يعنيه شيء في المجتمع ولكنه يركز على اللعب باللغة والعمل بها؟ أم نصنفه في غير ذلك مقاما؟... إن هذه المسألة مفتقرة إلى بلورة وتلطيف.[1]

الخصائص الفنية للمقامات:

1. خصائص المضمون:

- قصص ونوادر مضحكة.

- دراسة فن الإضحاك في المقامة بتوسّع وتفصيل -الفرق بين الإضحاك القائم على النكتة الخفيفة الغنية، والقائم على تدبير الحيل وإثارة التهويلات "الهزل والمرح اللذين يدفعان القارئ أو السامع إلى الإغراق في الضحك، والواقع أن الإضحاك في المقامة فن قائم بذاته فيها، ولا يستقيم لنا البحث في خصائص المضمون من حيث التعرض للمواقف الضاحكة في فن المقامات ما لم ندرس ما يمكن أن يسمى "فن الإضحاك في المقامة" فيختلف بإختلاف طبيعة موضوعاتها، كما تختلف هذه المقامات المضحكة تبعا لما نعالج من مواقف هازلة، فهذا البديع في "المقامة الأصفهانية يصور عيسى بن هشام وقد حل نزيلا بأصفهان وكان يتعجل السفر إلى الري، ولكنه كان ينتظر القافلة التي يرتفقها في تظعانة[2]، ولا يكاد يعلم خبرها وأنها مزمعة على الرحيل، حتى يسمع المؤذن يؤذن للصلاة فيبادر إلى المسجد لأداء الفريضة، وقد إتخذ الإمام في صلاته قراءة بطيئة جدا، فيختم عيسى بن هشام ويكتئب لأنه

[1]- المرجع السابق، ص 148.

[2]- عبد المالك مرتاض، فن المقامات، ص 566.

أصبح يخشى أن ترتحل القافلة وتذَره من حيث يرغب في السفر رغبة ملحة، ويتصلى نار الصبر ويتصلب من طور الصلاة.

– العناصر الهزلية والإضحاكية –حيل المكدين– مواعظ غلبت هذه الفكرة على كتاب المقامات.

– **النقد الإجتماعي (خاصية يدر وجودها):** النقد اللاذع والسخرية الحادة من المشعوذين في المقامة الفردية.

– **الرثاء** "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، محمد البشير الإبراهيمي يرثي فيها زعيم الإصلاح الجزائري عبد الحميد بن باديس.

– **طرائف ونوادر أدبية (المقامة الصيمرية نموذجا):** فهذه الحكاية أجمل من الخيال، ومن أغرب النوادر التي جاءت بها الأخبار الأدبية ولا سيما حين يحلق أبو العنبس لحية أحد كتاب الوزير ابن عبد الله الذي ضحك ضحكا كاد يأتي عليه، وبعث إلى أبي العنبس بخمسين ألف درهم جزاءا له على فعلته الظريفة.[1]

– **نظرات فلسفية وفكرية:** إن النظرة الفلسفية العميقة قد تكون نادرة الوقوع في المقامات من حيث أنها كانت لا تلتفت إلى النواحي العقلية المعمقة، بقدر ما تلتفت إلى إستخدام المحسنات اللفظية، وإغناء الصور الشكلية بالأجراس والألوان جميعا، ومع ذلك فإن بعض المقامات لم تخلو من نظرات فلسفية وفكرية بالمعنى الدقيق وأبرز هذه المقامات إطلاقا "المقامة الماريستانية للبديع" وعلى الرغم من أن البديع كان أديبا أولا وقبل كل شيء تستهويه العبارة الساخرة، وتُخلَبه الكلمة الجميلة، أما الأفكار وعمقها، والمعاني ودقتها؛ فكان لا يكاد يبالي أن تقع له، فكانٍّ من أجل ذلك يعالج من المشاكل الإجتماعية أو الأخلاقية –

[1]– المرجع السابق، ص 283.

معالجة عفوية- على نحو قصصي هزلي ساخر، فلا عجب إذا وجدنا البديع يلتفت إلتفاتة عقلية في المقامة الماريستانية التي بث فيها طائفة من التعاليم الكلامية، والآراء الفلسفية التي كانت تشغل مفكري الإسلام على ذلك العهد وما حوله، بيد أننا نفهم من هذه المقامة أن البديع لم يكن يسيخ المذهب الإعتزالي الذي ينكر الجبر ويقرر الإختيار، مع أن المرء يولد مكرها مرغما، لا طائعا مختارا، ثم إنه بعد ذلك يموت غير راغب في الموت ولا مشتاق إليه، وإنما هو الإكراه والجبر، ولذلك كان البديع ثائرا على هذا المذهب، متعصبا: "إن الخيرة لله لا لعبده، والأمور بيد الله لا بيده، وأنتم يا مجوس هذه الأمة، تعيشون جبرا وتموتون صبرا، وتساقون إلى المقدور كرها، ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم"[1].

الخصائص الفنية لشكل المقامات:

- القالب العام لفن المقامات - دراسة والأسلوب والصياغة بتوسّع مع الإتيان بأمثلة وشواهد شتى من المقامات - غلبة الغرابة على صياغة المقامات - التصوير البياني في المقامة الذي شمل:

1. دراسة التشبيهات وإبراز خصائصها الفنية - غلبة المحسوسات على التشابيه.

2. دراسة الإستعارة في المقامة بتوسّع وتفصيل أيضا - خصائصها الفنية - النزوع إلى المحسوسات والجنوح إلى محاكاة البدو في أحاديثهم وكلامهم.

3. الكتابة في المقامات قليلة إذا قيست بالتشبيهات والإستعارات.[2]

[1]- المرجع السابق، ص 339.

[2]- المرجع نفسه، ص 342-343.

4. فن البديع في المقامات مُطَّرد لا تخلو منه مقامة، وهو أعظم ما يكون في مقامات الحريري ثم مقامات اليازجي وأهمها: المقابلة – طباق التورية – الجمع – الألغاز – السجع – سيطرة السجع على سائر الآثار المقامية – الإقتباس والتضمين، الموازنة (قليلة في مقامات الحريري واليازجي) – القلب – عزيز الوجود في المقامات – رد العجز على الصدر نادر أيضا – العكس وهو أندر – تعليل إنعدام الموازنة في المقامات ووجود بعض المحسنات الأخرى على نحو واسع.

- تنويع الأفكار.
- التشخيص.
- الإتيان بأمثلة وشواهد نصية من مقامات مختلفة.

- الإكثار من فكرة الوعظ (لاسيما عند الزمخشري، وابن الجوزي اللذين أقاما مقاماتهما على فكرة الوعظ) ثم الحريري الذي كتب ما يقرب من ثمانية مقامات، أما البديع فلم يكتب إلا مقامتين إثنتين حول فكرة الوعظ.

- إنتهاء المقامة على صورة واحدة، وقد يكون هذا مما ينبغي إعتباره من مواطن الضعف.[1]

مقامات جار الله أبو القاسم الزمخشري

لقد كتب الزمخشري هذه المقامات يعظ بها نفسه في المقام الأول على أن تكون بعد ذلك منارة تعدي مقتبسيها في باب العلم والتقوى والأدب؛ فقد أجهد الزمخشري نفسه في إحكام صنعتها وسبك معدنها وإبداعها المعاني السامية التي تزيد المتبصر في دين الله نورا لما فيها من قبس الحق والخير والجمال.

[1]– المرجع السابق، ص 566–567.

الصنعة الفنية في مقامات الزمخشري: لم ينسج الزمخشري مقاماته على غرار من سبقه من المقاميين فهو لم ينسج على منوال المقامة البديعية ولم يستخدم ديباجتها والسبب في ذلك هو أن جلال الموضوع الذي عالجه لم يترك له مجالا للهزل، وهو وإن عالج موضوع الوعظ في مقامته فهو وعظ حقيقي وليس من ذلك النوع الذي يهدف به أبو الفتح الإسكندري، فهو يوجه الكلام لنفسه كما هو شاهد في مستهل مقامة المراشد الوعظية التي تخلو من أي بناء درامي شبيه بما وجدنا عليه الوعظ في مقامات الهمذاني، وقد ذهب الدكتور إحسان عباس في إحدى تصوراته إلى أن الزمخشري قد أسقط عامدا الرواية والبطل وأبقى على الهدف الأساسي في المقامة وهو الوعظ، ويختلف الدكتور يوسف نور عوض مع إحسان عباس في مسألة الوعظ لأن الأخير ما هو إلا غرض ضمن أغراض المقامة الفنية المختلفة.[1]

والحقيقة هي ما ذكره الدكتور فارس إبراهيمي في دراسته بعنوان "المقامة في الأدب الفارسي حيث قال: أن الصوفية منحوا كلمة مقامة مدلولا جديدا وتعني لديهم موقفا من مواقف النسك أو التبتل أو الوعظ، وقد أشار إلى الزمخشري بصفة خاصة كنموذج لهذا اللون، وهذا ما يراه يوسف نور عنده بالفعل، إذ أن مقاماته لا تمثل ألوانا من القصص ذات المضمون كما عند الهمذاني بل هي مواقف للوعظ والتأمل.[2]

تحلية المقامات بالشعر:

نجد في مقامات جار الله أبو القاسم محمد الزمخشري في إستخدام الألفاظ والصنعة البلاغية، وتلك نزعة بلاغية أساسية في أدب المقامة إذ لابد أن يجيد الكاتب في صنعته حتى يحفظ للمقامة جلالها، ونرى الزمخشري يستخدم إلى جانب ذلك خاصية أخرى في الأدب المقامي وهي ممازجة النثر بالشعر كما ورد في مقامة الزهد، فلا يختلف الزمخشري عن

[1]– يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، ص 175.

[2]– المرجع نفسه، ص 176.

غيره في غرض إستخدام الشعر في داخل النثر وهو للتحلية وتلخيص المواقف بل وتجسيمها.[1]

- **الظرف والفكاهة:**

لقد غلب على مقامات جار الله الزمخشري طابع الجد وأنها نفرت من أسلوب الهزل ولكن ذلك لا يعني أنها خلت من الظرف الوفور الذي لا يخلُ بالتماسك الرزين الذي قام عليه موضوعها، والنصيب الوافر من الفكاهة والظرف، هي مقامة العروض، والفكاهة حسب الرؤى النقدية للدكتور يوسف نور عوض أتت من ألغازه بمصطلحات العروض التي يصلح بها الشعر ومقابلتها بما يحتاجه الإنسان لصلاحه.[2]

[1]– المرجع السابق، ص 177.

[2]– المرجع نفسه، ص 178.

السرويات والإستثمار النقدي للتراولية

I-1. السرد بين المفهوم والتنظير الغربي وروافد نشأته عند العرب

I-1.1. تعريف السرد

أولا: لغة:

1. في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [1].

2. مورود في لسان العرب لإبن منظور أن السرد في اللغة هو تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متّسقا بعضه في إثر بعض. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيّدَ السياق له.[2]

3. وجيء في المعجم الوسيط قوله: ويقال سرد الحديث أتى به على ولاء جيّدِ السياق، (تسرد) الشيء: تتابع، يقال تسرد الدُّر وتسرد الدمع.. تابع خطاه..."[3].

نلحظ مما سلف ذكره من التعاريف المتأتية أن دلالات مصطلح السرد تنصبّ في معاني تتابع الحديث وتوالي أقاويله وملفوظاته وجودة سياقه.

ثانيا: إصطلاحا:

لا غرابة أن يُعد أفلاطون من البواكير الأولى التي مهدت لنشوء السرد في زمن العراقة الثقافية اليونانية حين ندّد بأن تصوير الأبطال والآلهة في أقاويل شعرية كأنه تسريد لمبنى حكائي وحياكةٌ للأحداث والأدوار وفق تراتبية العرض وملامساته التي إكتنفت من الحياة والتجربة وإكتساب المعارف قال "بما أنّ كل الأساطير والأشعار ليست إلا سردا لأحداث

[1]– سورة سبأ، الآية 11

[2]– ا بن منظور، مصدر سابق، ص 5444.

[3]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، مصر، 2004، ص 426.

وقعت في الماضي أو تقع في الحاضر، أو ستقع في المستقبل، فإن السرد ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ قد يكون مجرد سرد، أو تمثيل ومحاكاة، أو كليهما معا"[1].

ويتبعه كل من النقاد الأجانب المعاصرين الذين يتفقون على أن المنجز السردي يتمثل في تلك الكيفية أو الطريقة التي يختارها القاص أو الروائي أن يقدم بها الحدث إلى المتلقي أي عملية لنسج الكلام وبداية مع:

جيرار جينيت "السرد اللاحق (النمط الأول) هو ذلك الذي ينظم الغالبية العظمى من الحكايات التي أنتجت حتى اليوم، ويكفي إستعمال زمن ماض لجعل سرد ما لاحقا، ولو لم يشر إلى المسافة الزمنية التي تفصل لحظة السرد عن لحظة القصة[2].

جيرالد برنس "الحديث أو الإخبار (كمنتج وعملية وهدف وفعل وبنية وعملية بنائية) لواحد لأكثر من واقعة حقيقية أو خيالية... من قبل واحد أو إثنين أو أكثر (غالبا ما يكون ظاهرا من الساردين وذلك لواحد أو إثنين أو أكثر (ظاهرين غالبا) من المسرود لهم."[3]

بوريس إيخنباوم "السرد بالمعنى الحرفي للكلمة وفيه يتوجه الكاتب أو الراوي المتخيل إلى المستمعين، فالحكي يكون أحد العناصر التي تعقد شكل الأثر الأدبي وفي بعض الأحيان يكون العنصر الأساس، والثاني؛ السرد المشهدي وفيه يكون الحوار بين الشخصيات في الصدارة".[4]

---

[1]– عبد الله إبراهيم، السرد والمحاكاة، مجلة ثقافات، 17 ذي القعدة، 1437 هـ – 20 أغسطس 2016، http// :www.thakafet.com/ 1527294، تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2021/11/12.

[2]– جيرار جينيت، خطاب الحكاية ، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلا، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، د.ب.ن، 2000، ص 231.

[3]– جيرالد برنس، المصطلح السردي – معجم المصطلحات، تر: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص 145.

[4]– مراد عبد الرحمان مبروك، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة – التحفيز نموذجا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، مصر، 2002، ص 20.

وقد لقي تعريف السرد من طرف عصبة النقاد العرب حضورا منهجيا لكي يحاكوا به ثنايا تفاصيله ووظيفته في كيان المكتوب الأدبي من حيث تأمين وحدة الحكي وحركيتها ووحدة الوصف ومطاوعة عنصري الإثارة والتشويق تماما كما قد نظر لها الغرب بشكل مسبق فنجد أن :

مجدي وهبة يعرفه بأنه "هو المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبارا سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أو من إبتكار الخيال".[1]

أما حميد لحميداني "هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق قناة الراوي والمروي له، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها"[2].

و عند عبد المالك مرتاض: والسرد وإن شئت أيضا هو بث الصوت والصورة بواسطة اللغة، وتحويل ذلك إلى إنجاز سردي إلى مقطوعة زمنية ولوحة حيزية ولا علينا أن يكون هذا العمل السردي خياليا أم حقيقيا.[3]

كما أن سعيد يقطين منح تعريفا مخالفا للسرد عن بقية التعاريف الآنفة الذكر واصفا فيه أن التقنية السردية تقبع على جل الخطابات مهما كانت نمطيتها قائلا "السرد فعل لا حدود له،

[1]– مجدي وهبة، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 198.

[2]– حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص 45.

[3]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، ص 219.

يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وأينما كان".[1]

والنتيجة التي يمكن أن نستنبطها من خلال التعريفات الإصطلاحية للسرد بدفتيه الغربية والعربية التي تبعث على التقاطع والتقابل الوظيفي والمنهجي بصورة مستقلة أو ممتدة مع بنية النص سواء أكانت تعبيرية وتكوينية جمالية أو تفسيرية، ومدى إختلاف الإتجاهات والمذاهب حول طبيعة هذه البنية وعلاقتها بنسيج النص من القوانين واللوائح أو الأوامر الملزمة كمؤسسة معيارية من الأعراف الجمالية الناشئة من طبيعة المادة التي يتناولها، ثم كيفية معالجته لهذه المادة بصورة تختلف عن سائر الأجناس الأدبية الأخرى، فهذه الطرق التعبيرية التي تشكل وحدة تعبيرية لها لوازمها الشكلية والمضمونية والأسلوبية، تكون في متناول اليد قريبة المأخذ للكاتب وسهلة الفهم لدى القارئ، فأفلاطون عندما فرق بين الفنون الأدبية الثلاثة (الدراما – الملحمة – السرد التاريخي) كان على أساس الشكل اللغوي وأسلوب الغرض الذي ينشأ على درجة تدخل الشاعر (الراوي)، كالأصوات التي هي أساس بنية الموسيقى في مقطوعاتها وترانيمها والألوان في موادها التي هي أساس بنية الرسم والأوزان والكلمات التي هي أساس بنية الفن، بشكل خاص.

كما تبلورت نظرية أفلاطون مع من خلفه من بعده الذين توصلوا إلى أن هناك كلمات تميز النصوص التي تنتمي إلى نوع أدبي سردي على نموذج الجملة الثلاثي المستويات (الوظائف، الأعمال، الإنشاء) ومنهم فصل في ذلك بأن التعبير الذي يتعلق بضمير المتكلم والنداء بضمير المخاطب والتمثيل بضمير الغائب.

[1]– سعيد يقطين، الكلام والخبر – مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 19.

I-2.1. النظريات السردية بحث في الأصول والمقولات

يُعد مصطلح السرد أو السردية (*narratology*) من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيوية، هدفه توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص السردية، ليشمل الجوانب النظرية والتطبيقية في دراسة منهجية للسرد وبنيته، فأصبح السرد فيما بعد مادة لكثير من الطروحات خارج حقل الدراسات الأدبية، إذ بدأ العلماء ينظرون لوظيفة السرد في كتابة التاريخ، والدين والصحافة والممارسة القانونية والتربية والسياسة إلى آخره، لدرجة أن معظم المنشورات عن موضوع السرد في هذه الأيام تبدأ بعبارة مثل (السرد في كل مكان) أو (القصص في كل مكان حولنا).

وبالنظر إلى حقيقة أن معظمنا يتفق على أن الواقع كما نعرفه ليس معطى مدرك بالحواس، بل أنه بناء ذاتي، يبدو أن السرد في كل مكان حولنا لأن بناء التمثيلات السردية هو أحد الوسائل التي نعطي بها شكلا ومعنى للواقع الذي ندركه، السرد هو بعبارة أخرى طريقة أساسية "للتفكير" أو (أداة معرفية).[1]

أولا: الأصول النقدية للنظرية السردية:

لو تتبّعنا التاريخ الحديث للنقد الأدبي لوجدنا أن النظرية السردية ظهرت بمفهومها المعاصر، من خلال التراكم والترسب المعرفي، القائم على الرفض والقطيعة لا التواصل والإستمرار، من خلال نقض وتقويض وتعديل اللاحق للسابق، "فقد أسس نقاد فرنسيون آخرون مثل (كلود بريمون) و(أ.ج. جريماس) نظرياتهم في السرد على تقاليد أسبق، ولم يطبقوها على أعمال حديثة إلا في بعض المناسبات، حيث إستلهما طرائق التحليل من أعمال الفولكلوري الروسي (فلاديمير بروب) في تحليله للحكايات الخرافية الروسية، من خلال

[1]- يان مونفريد، علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد، تر: أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2011، ص 7.

دراسته الشهيرة حول مورفولوجيا الحكايات الخرافية، حيث أن تحديده للبناء المورفولوجي للحكايات الخرافية في إحدى وثلاثين وظيفة، قد عوضهما عن نظرية (كلود ليفي شتراوس) الذي حدد بنية الأسطورة في أربعة أفعال وشخصيتين على الأكثر، إعتبارا أنهما يشتغلان على نماذج سردية أطول، أما فلاديمير بروب وإن كان قد صاغ أنموذجا نظريا يستطيع تفسير مختلف الأشكال الحكائية الخرافية في العالم، فإنه قد إنتُقد وتعرضت نظريته لعدة مراجعات وتعديل وتصحيح مفاهيم بنائية ومنهجية فيها قد أثارت جدالا.[1]

ولقد باشر رولان بارت أكثر منظري السرد تأثيرا في السنوات العشرين الماضية عددا من المشاريع السردية من المنظور البنيوي، وكان أقدر من أغلب معاصريه على توسيع مناهج علم الإناسة والألسنية البنيوية وتكييفها لدراسة الأدب الحديث، وبالضبط في مستوى الخطاب، إقترح في المؤلف السردي تمييزه بين ثلاثة مستويات للوصف هي: مستوى الوظائف، بالمعنى الذي تحمله هذه الكلمة لدى بروب وبريمون، ومستوى الأفعال بالمعنى الذي تحمله هذه الكلمة لدى غريماس عندما يتحدث عن الشخصيات كعوامل، ومستوى السرد وهو يشبه إلى حد ما مستوى الخطاب لدى تودوروف.

وقد لاحظ (غريماس) أن منهج (بروب) المستند إلى فكرة تتالي الوظائف وتتابعها في الحكاية الخرافية الشعبية، وفق آلية ميكانيكية، لا يمكن أن يصلح لتحليل ملفوظات حكائية أكثر تعقيدا منها كالرواية، لذلك إقترح تنظيم هذه الوظائف الإحدى وثلاثين في سلسلة ثنائيات متضادة، بحيث يستدعي كل ملفوظ في الحكاية نقيضه السردي، وكأيٍ من النظريات العلمية فقد إنتقدت النظرية السردية التي جاء بها (فلاديمير بروب)، و"لقد إنتقد بروب بسبب إهماله للشكل لصالح المضمون، ولكنه في الواقع يوضح (شكل المضمون) بوضع التتابع النسقي للوظائف، وخاصة بِردِّ مجمل الحكايات إلى نموذج ضمني غير متحقق أبدا، وهو

[1]– عبد الحق مجينطة، الأصول الإبستيمولوجية للنظرية السردية، مجلة أيقونات، مج: 6، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2018، ص 9.

النموذج الوظيفي القائم على التتابع والتتالي الخطي للوظائف الإحدى وثلاثين، وهكذا فإن دراسة السردية المنطلقة من توظيف سريع لمورفولوجية (بروب) قد أفرزت أحيانا مشاريع إختصاصات مستقلة كعلم السرد مثلا، أو بناء سريع لنحو أو منطق سرديين أحيانا أخرى، وفي آخر المطاف هذا هو جوهر مساهمة الأنموذج البروبي في بناء النظرية السردية.[1]

وإنطلاقا من جملة الإنتقادات الموجهة لنظرية (بروب) في التحليل البنيوي للحكايات الخرافية الروسية، يمكننا الإفتراض أن علم السرد قد إنطلق حقيقة نحو التأسيس النظري، حيث قامت جميع النظريات السردية اللاحقة لنظرية (فلاديمير بروب) على أنقاض نظريته السردية السابقة. إذ "تتأسس أبحاث غريماس حول السرد على الإستعانة النقدية لأعمال بروب ووضعها حصرا ضمن منظور سيميائي وبنيوي (فالنص معطى تجريبي) ويدرس الباحث السيميائي بإعتباره محللا التنظيم التركيبي للمعاني؛ أي التقطيع والتنظيم السردي، ولقد أنشأ غريماس لدراسات (الخطابات السردية) (علم دلالة أساسي) و(علم نحو أساسي) ولكن من بروب نفسه فقد قعّد لنظريته السردية على أنقاض أعمال سابقيه، حيث قام بروب بتوجيه عدة مآخِذ نقدية لأعمال ثلاثة باحثين سبقوه إلى دراسة الحكاية الشعبية، (سلوفسكي، بيديي وفولكوف).[2]

لقد إنطلق جوليان غريماس بمشروعه الجديد على أنقاض المشروع البروبي مستفيدا من ملاحظات كلود ليفي شتراوس، حيث يرى أن ما قدمه فلاديمير بروب يتسم بالعامية والبساطة مركزا على البنى السطحية ولم يتعداها إلى البنى العميقة في القصة العجائبية الروسية، وصولا إلى أدبية الخطاب في النصوص عند غريماس، فمشروعه بمثابة تحر يتجاوز حدود الظاهر البسيط ليستنطق الباطن المركب وما تعتوره من دلالات، وإعتبر

[1]– المرجع السابق، ص 9.

[2]– المرجع نفسه، ص 10.

وظيفة "رحيل البطل" على سبيل المثال فعلا، ولا يمكن أن تكون هناك ثنائيتين لتشكيل وظيفتين.

وقد إعتمد على عدة عناصر تنظيمية كالتنظيم العميق والسطحي، ومكونين تركيبي ودلالي وإضافة لمحاور الرغبة والتواصل والصراع بين الذات والموضوع (المرسل والمرسل إليه) المساعد – المعارض، ومشروع الخطاطة السردية، كالإختبار التأهيلي والرئيسي والنهائي والبرنامج السردي البسيط والمركب، كذلك المربع السيميائي الذي يتألف من العلاقة الإستتباعية وعلاقة التضاد والتناقض.

ولو عدنا من جديد وتصفحنا تاريخ النقد الأدبي عموما، وتاريخ النظرية السردية خصوصا، وجدنا أن الدراسات السياقية قد هيمنت على تحليل النصوص الأدبية الشعرية والسردية، قبل ظهور التحليل البنيوي للحكاية الخرافية، طوال عقود نقدية طويلة في الساحة النقدية، ولم تستطيع النظرية الأدبية السردية والشعرية التخلص منها بسهولة حتى قامت النظرية النقدية البديلة مع إنتشار البنيوية، وكانت أهم التحديات للتحليل الشكلي هي تحديات النقاد المفسرين الذين يذهبون إلى أن الكتابة السردية توقع الفوضى في كل القوانين والتقاليد التي قد تعطيها شكلا ومعنى موحدين... أو يذهبون إلى أن بين الشكل والمعنى علاقة متبادلة دوما، يخلق أحدهما الآخر ويشوهه، فقد بقيت الدراسات السياقية تمارس هيمنتها على الساحة النقدية إلى أن جاءت ردود الفعل البنيوية التي تجلت في التحريض على دراسة الأدب من الداخل والتركيز على الآثار الأدبية لا على مصادرها أو مراجعها أو سياقاتها.[1]

وهكذا بدأ الإتجاه البنيوي في تحليل النصوص السردية مع الشكلانيين الروس الذين رفضوا الإعتراف بالأدب بإعتباره نقلا لحياة الأدباء النفسية والإجتماعية فقط، أو تصويرا لحوادث التاريخ فحسب، أو مجرد إنعكاس للنظريات الفلسفية والمذاهب الدينية، ونادوا

[1]– المرجع السابق، ص 10.

بضرورة البحث عن الخصائص التي تجعل من الأثر الأدبي أدبيا، والبحث عن البنى والأنساق الأسلوبية والحكائية والإيقاعية المتناغمة في الأثر الأدبي ذاته، فتراجعت بذلك سطوة الدراسات السياقية للنصوص السردية لحساب الدراسات البنيوية وأعطى بذلك نفسا جديدا لنظرية الأدب كي تنطلق من جديد في تقصي النصوص السردية في رحلتها نحو تأسيس نظرية أدبية ذات أسس ومعايير علمية وموضوعية على غرار الأنساق المعرفية الأخرى؛ كالعلوم الإجتماعية والإنسانية.

ومنذ إنتشار أعمال الشكلانيين الروس وشيوع مبادئهم النقدية والمنهجية بدأت بوادر الصراع بين المناهج التقليدية والمناهج الحديثة في النقد الأدبي، وإنتهت بإنتصار وتفوق الإتجاه الجديد الداعي إلى الموضوعية العلمية والإتسام بالعقلانية في تحليلها ومقاربتها للنصوص السردية.[1]

وبدءا بدراسة فلاديمير بروب دراسة شكلية مبدئية وظيفية لمورفولوجيا القصة الشعبية في روسيا التي أعانت عبر أدواتها اللغوية عقم المنهج التاريخي في إستنباط بنيتها متجاوزا بذلك التموضع التاريخي / السوسيو ثقافي.

وبالتالي فالنظرية السردية في مرحلة الحداثة أو مرحلة البنيوية على الأرجح، كانت تسعى نحو علمنة الأدب السردي، أي دراسة الأدب السردي دراسة علمية وموضوعية، على قدر كبير من الدقة المنهجية، وكل هذا يدخل ضمن سعي النظرية الأدبية العامة نحو علمنة الأدب وظواهره، وعلى الرغم من النتائج العلمية التي حققتها هذه الدراسات السياقية وبالرغم من دقة مناهجها في تفسير النصوص الأدبية وتحليلها في ضوء سياقاتها المختلفة الإجتماعية والتاريخية والدينية والنفسية، فإنها لا تزيد عن كونها نوع من التفسير التحليلي السياقي، ومحاولة للبحث عن الأصول التي إنبثقت عنها النصوص الإبداعية، دون مقاربة النص

[1]– المرجع السابق، ص 11.

السردي في جوهره وفي ذاته، وبالتالي كان لابد من التخلي عن هذا الإتجاه النقدي القديم لصالح ما أصبح يعرف فيما بعد بالنقد الأدبي الجديد، وكان لابد من البحث عن مقاربة أكثر علمية عند تقصي الظاهرة الأدبية السردية مهما كانت.[1]

فإذا دققنا النظر في النقد القديم للنصوص الأدبية (نظرية النقد السياقي) لوجدنا أن الدراسة النقدية في سعيها إلى تفسير النصوص الأدبية على ضوء السياق الإجتماعي والتاريخي في فخ الشرح التحليلي، وشرح مختلف الأصول غير الأدبية والتي إنبثق عنها هذا الأدب، وتقف عاجزة أمام وصف الأثر الأدبي ذاته وتحليل بياناته، إنه بحث في العلاقات السببية والحتمية بين الأثر الأدبي وكاتبه وبيئته وأصوله، ومختلف العوامل المحددة للإبداع الأدبي كالإجتماع والإقتصاد والسياسة، إن هذا النمط من النقد السردي بإختصار لا يدرس الأعمال السردية الأدبية من حيث كونها ظواهر مستقلة بذاتها وبخصائصها، بل يدرسها من حيث إرتباطها بظواهر خارج عنها؛ نفسية وإجتماعية وتاريخية، وبالتالي لا تبقى المسألة النقدية مرتبطة بالنص السردي الأدبي في ذاته، بل مرتبطة بمسبباته وعلله، وعليه يصبح النص السردي مساءلة حول الأدب لا مساءلة في الأدب، وبالتالي تصبح النظرية السردية نظرية حول الأدب السردي، لا نظرية في الأدب السردي.[2]

لقد جاءت النظرية النقدية الحداثية من أجل تعويض النقص المنهجي الذي كانت تعاني منه النظرية النقدية القديمة، وكان الهم الأكبر الذي يشغلها هو قيام منهج علمي موضوعي من أجل دراسة الأدب دراسة علمية، بالموازنة مع دراسة اللغة دراسة علمية، والتي حولت اللغة إلى حقل علمي مستقل، له موضوعه ومنهجه وهدفه، ومن شأن هذه النظرة النقدية الحداثية تحويل مادة الأدب إلى حقل مستقل، له عناصر واقعه الذاتية: كاللغة والعلامة والوحدات الكبرى والصغرى، وبرصد هذه العناصر وتفكيكها وتحديد البنيات التي تؤلف النص وتعيين السنن التي تقوم عليها في علاقاتها وتنظيمها، نكون قد وقفنا على أسباب

[1]– المرجع السابق، ص 11.

[2]– المرجع نفسه، ص 12.

تراجع الخطاب النقدي الكلاسيكي لأنه لا يمتلك آليات وأدوات إجرائية تمكنه من إعادة بناء النص وتحديد مكوناته عبر تفكيكه، وربما كان النقص المنهجي الذي عانت منه الدراسة السياقية للأثر الأدبي السردي والشعري هو زاوية النظر التي تتموضع فيها هذه الدراسات إلى الآثار الأدبية.

فزاوية النظر التي تتموضع فيها هذه الدراسات السياقية، هي زاوية لا تسمح بإلقاء نظرة علمية في الأثر الأدبي السردي، فهي في الأخير تتموضع خارج النص الأدبي، وتنطلق من خارج النص الأدبي، وتقرأ النص الأدبي من الخارج، مثلا كان النقد القديم يتعامل مع الشخصية الروائية على أساس أنها جوهر سيكولوجي أو إجتماعي أو تاريخي، تحيل بالضرورة على موضع خارجي وهذا القصور تحديدا هو ما حاولت الدراسات البنيوية إكماله، حين تموضعت الدراسات البنيوية في زاوية مغايرة لزاوية الدراسات السياقية، حيث تتموضع داخل النص الأدبي وتنطلق من داخل النص الأدبي، وتقرأ النص الأدبي من الداخل وإذا كانت دراسة الأدب من الخارج تركز على دراسة الظروف المنتجة للمنجز الأدبي، فإن دراسة الأدب من الداخل تركز على وصف البنية الداخلية له.[1]

ليتحقق ذلك الإستقلال الذاتي للنقد الأدبي في ظل البنيوية، بعدما كان يستعير مناهجه من العلوم الإنسانية والإجتماعية المساعدة، مثل علم الإجتماع وعلم النفس...إلخ، وعليه فالدراسة السردية للنص الأدبي السردي تتموضع داخل النص لتنطلق من داخل النص السردي وتقرأه من صلبه عن طريق تحليل النص السردي إلى بُناه الأساسية المكونة له، ووصف هذه البنى الخاصة بالنص السردي والبحث عن العلائق والقوانين التي تحكم هذه البنى، وتعطي للنص السردي أدبيته، إنها لحظة حاسمة في تاريخ النقد الأدبي عموما والنظرية السردية خصوصا، تلك اللحظة الفارقة التي تم فيها إعلان القطيعة الإبستيمولوجية مع الماضي النقدي القاصر

[1]– المرجع السابق، ص 12.

على مواكبة التطور على مستوى النقد والأدب، إنها اللحظة الحاسمة التي أسست لمرحلة نقدية معاصرة هي ما إصطلح عليه فيما بعد بـــ: الحداثة.[1]

رغم أن غريماس قد إنطلق في بناء نظريته السيميائية السردية من خلال ما قدمه فلاديمير بروب، لكن هذا لا يعني أنه قد تساوق معه في الرؤية، بل وجه مبدئيا له ملاحظات من بينها أن القول بأن القصة هي تتابع لـــ31 وظيفة يفترض مسبقا إعطاء تعريف لمصطلح الوظيفة، فإذا وضعنا ثقتنا في حدس بروب حين يعتبر الوظائف تغطي دوائر الأفعال، فإن الصيغ التي يعطيها لوظائف أخرى توقعنا في حيرة، إمكانية مزاوجة الوظائف إنطلاقا من وجود إسقاطات إستبدالية، فهذا الملفوظ يذكر بنقيضه الذي سبق مثال، رحيل، عودة، النقص، القضاء على النقص، فالهدف الذي يسعى إليه غريماس هو أن السردية لا يمكن الإمساك بها على مستوى البناء المورفولوجي الذي يجسده التتابع الوظيفي في مسار الحكاية، بل يجب البحث فيما هو سابق عنه، وبعبارة أخرى يجب الإعتراف بأن السردية هي كيان منظم بشكل سابق عن تجليها

ثانيا: الأصول اللسانية

لعل إسهامات النظرية البنيوية في النظرية السردية ذات أهمية بالغة، لكنها لا تزيد أهمية عن تلك الإضافات الهامة التي جاءت بها اللسانيات بإعتبارها الدراسة العلمية للظواهر اللغوية، حيث لم يكن البنيويون المحرضين الوحيدين على هذه التطورات فلقد بدأت قبل البنيوية بزمن طويل الدراسات اللغوية لتقاليد السرد، والتي أثمرت نتائج مهمة في السنوات القليلة الماضية؛ وكذلك إستفادت من البنيوية تلك التحليلات الإجتماعية والماركسية للسرد، ولكنها أثمرت أهم النتائج حين تحدّتها، وفي مقابل تلك التحليلات اللغوية للسرد الأدبي وجدنا الدراسات الأدبية قد إعتمدت على المناهج والنتائج التي جاءت مع اللسانيات الحديثة؛ حيث

[1]– المرجع السابق، ص 13.

تبلورت مع ظهور النزعة البنيوية في الدراسات اللغوية، إبتداءا من ظهور لسانيات (دي سوسير)، حيث أثرت هذه الجهود اللغوية تأثيرا واضحا في النظرية السردية الحداثية.[1]

مثلا إن "تصور بارت إعتمادا ما توصل إليه من نتائج على أن التحليل السردي للخطاب بدا يحذو حذو اللسانيات في تبنّي المنهج الإستنباطي، بدءا من تصور نموذج إفتراضي للوصف، والتالي الدعوة إلى إستلهام مقولات علم اللغة الحديث، وتطبيق مناهجها وأهدافها في تحليل النصوص السردية، وعليه فإن النتائج التي سوف يصل إليها الباحث بالضرورة وحتما تتافي تلك التي توصلت إليها اللسانيات، وكذلك فإن هذا الإستلهام المنهجي للدراسات اللغوية سوف يُدخل الدراسات النقدية السردية عالم العلمية الموضوعية.[2]

ولم تستلهم النظرية السردية مقولات اللسانيات الكبرى فحسب، بل إستلهمت منها نتائجها التي توصلت إليها عند تحليلها اللغة كجملة (لسانيات الجملة) واللغة كنص (لسانيات النص) مثلا تتجلى نتائج (دي سوسير) في ثنائية (الدال / المدلول)، ونتائج (لويس هيلمسليف) في ثنائية (التعبير / المحتوى) على شكل ثنائيا (قصة / حكاية)، (نص سردي / خطاب سردي) (شكل القصة / مضمون القصة)... إلخ، فهناك مقابلة بين التحليل البنيوي للغة، والتحليل البنيوي للسرد الأدبي بصفة آنية/تزامنية فتلك القوانين التي جاءت بها اللسانيات في تعاملها مع اللغة بنيويا أو بالأحرى علميا؛ قد أغرقت النقاد الأدبيين ودفعتهم إلى إتباع مناهج الدراسات اللغوية في تحليل النصوص الأدبية، إذ تنطلق النظرية البنيوية للقص من التماثلات التي تصل الأدب باللغة، بالمعنى الذي يجعل من النحو (قواعد بناء الجملة) النموذج الأساسي لقواعد القص، حيث يتحدث تودوروف وغيره على نحو القص هذا النحو الذي يبدأ من التركيب الأولي للجملة نفسها، من حيث إنقسامها إلى مسند ومسند إليه، ولقد توصل فلاديمير بروب... إلى نظريته عن الحكايات الروسية الخرافية بمتابعة عواضل أهدافها ونتائجها التي

[1]– المرجع السابق، ص 13.

[2]– المرجع نفسه، ص 14.

قطع بها شوطا طويلا للتوصل إلى إرساء معالمها البنائية في القرائن الوظيفية ، كما قد ساهم بشكل كبير وواضح في التأسيس للدراسات النقدية الأدبية الحداثية عموما، وفي التأسيس للدراسات النقدية السردية الحداثية خصوصا.[1]،علاوة على ذلك فالسردية في رحاب المقاربة السيميوطيقية كذلك لعبت دورا في دراسة النصوص السردية التي تتعاقب فيها الأفعال والحالات والتحولات فتحترز على سيميوطيقا الأهواء- سيميوطيقا التلفظ- سيميوطيقا التوتر[2] فالموضوع الأدبي الأولي يتميز بأنه موضوع داخلي يعتبر معلومة جديدة تضاف للمعلومات السابقة وموضوع خارجي تأويلي / ديناميكي / ضمني فهو حصيلة التجربة البنائية النصية.

- أما بالنسبة لتودوروف فرأى أنه إذا أردنا مفهمة الشعرية السردية فلابد لنا من التمييز بين: العمل الأدبي هو الموضوع النهائي والأوحد المسمى تأويلا، كما يندرج ضمن إطار العلمية، أي ما يتوفر على دراسات تحليلية تاريخية ونفسية وإجتماعية تنفي فكرة الإستقلالية عن العمل الأدبي فهو التعبير عن شيء ما، فغاية تودوروف وضع حد للتوازي القائم بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية ومعرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة الأثر الأدبي كتسمية المعنى، بخلاف تأويل الأعمال، فهي مقاربة مجردة وباطنية في آن واحد للأدب، فقد تحدث عن القصة والخطاب التي هي سلسلة أحداث لها بداية ونهاية، ويمكن أن تنتقل بوسائل وأشكال كالرواية وشريط السينما وتنظم الأحداث في إطار متواليات فنية / أدبية / سردية (وحدات) والخطاب هو الطريقة التي يروي بها السارد "القصة لا الأحداث" متضمنا ثلاث رؤى (الرؤية من الخارج - الخلف - معا)- زمن السرد: التسلسل، التضمين، التناوب زمن الكتابة وزمن القراءة،وعليه نصل إلى أن التصور الغربي لوظيفة السرد كان تصورا علميا

[1]- المرجع السابق، ص 14.

[2]- جميل حمداوي،الإتجاهات السيميوطيقية - التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، شبكة الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب ،2015 ،ص81-82.

على قدر عال من الموضوعية المحكمة لأنه نظر إلى الطرائق السردية للنقد الروائي/القصصي ومكمون بنياتها التفسيرية التي تهدف للبحث عن حقيقة النص من حيث هي ظاهرة فنية لغوية شارحة قبل أن تكون إنسانية وجدانية .

ثالثا: الأصول الأدبية

ولم تتطور النظرية السردية عند نشأتها بفعل القطيعة الإبستيمولوجية والمعرفية مع الماضي النقدي فحسب، بل تبلورت النظرية السردية الحديثة أيضا بعد ظهور الرواية الجديدة خاصة الرواية الفرنسية، أمثال: آلان روب غرييه، وميشيل بوتور وناتالي ساروت وكلود سيمون، هؤلاء الروائيون الجدد الذين دمّروا العناصر الفنية للرواية التقليدية المتعارف عليها، خاصة عندما كتبوا روايات دون شخصيات أحيانا، ودون أحداث أحيانا أخرى، وكذلك ألفوا روايات دون تسمية الشخصيات في المناسبات، وأيضا إحتلت الأشياء محل الشخوص في مناسبات أخرى.

وتمثل هذه الأعمال الأدبية حركة الحداثة الروائية، حيث عرفت الرواية في ظل حركة التحديث هذه بعض العناصر الفنية المغايرة للعناصر الفنية التقليدية ومع ذلك فإن مؤلفي الروايات الجديدة ألحُوا على واقع أن غرضه يأخذ مكانه ضمن تراث سابق ويأتي نتيجة تطور منطقي (إنهم يدعون تبعيتهم لبروست) ومهما بلغت درجة تقيدهم وخضوعهم للتقاليد الروائية، فإن ملامح مخالفتهم للتقاليد الأدبية، التي رأيناها في مؤلفات تيار الوعي الروائي متمثلا في أعمال (جيمس جويس) و(مارسيل بروست) واضحة المعالم.[1]

لقد إرتبط النقد القديم للرواية والسرد المعتمد على العناصر الفنية في تحليل النصوص السردية بالرواية القديمة، وبالتالي ماذا يعني خروج هذه الرواية الجديدة عن إطار القواعد التي أسس لها النقد القديم، والذي إستمد بدوره قوانينه وقواعده من الأشكال الروائية القديمة؟

[1]– المرجع السابق، ص 14.

إنه يضع النظرية السردية في مأزق حرج، إنه مأزق نقدي على المستوى النظري والتطبيقي يتجلى بوضوح في عدم قدرة النظرية السردية على الإحاطة بالظواهر السردية الجديدة الطارئة أمامها، وهكذا مع ظهور تيار الرواية الجديدة، وقعت النظرية السردية في تأزم خطير، حيث أن الرواية الجديدة بعناصرها البنائية الجديدة، خارجة عن التصنيف والتقنين والتقعيد الذي حاول النقد القديم أن يحصرها في إطاره.

والرواية كنوع أدبي على خلاف الأنواع الأخرى لا تملك قوانين خاصة وما هو فعّال تاريخيا ليتشكل من عدة نماذج روائية وليس من القواعد الروائية بحد ذاتها، فالجنس الروائي حيث أن المحاولات العلمية لدراسة الأشكال السردية والتي بدأت طلائعها في مستهل القرن العشرين تحت تأثير جهود الشكلانيين الروس، وإسهامات مدرسة النقد الجديد في أمريكا، والتي تمخضت عنها البنيوية في أوساط القرن العشرين، والتي أسهمت بدورها في تطوير شكل الإبداع الروائي لدى بعض كتاب الرواية مثل: رواد مدرسة تيار الوعي (بروست وجويس)، ورواد مدرسة الرواية الجديدة أو الرواية الشيئية (بوتور وساروت) وغيرهم.[1]

فالعلاقة بين الظاهرة (السردي الأدبي) والعلم (علم السرد) وفق ما تبين لدينا، هي علاقة تبادل أو علاقة تأثير وتأثر والنقد من أهم الحوافز الدافعة في إزدهار الإبداع الأدبي وتطوير أشكاله الفنية ومقاصده الفكرية والثقافية، وتنوع مناهجه التحليلية، فالنقد ضرورة إبداعية قبل أن يكون ضرورة علمية، فعلى قدر دقة النقد وجودته تكون روعة الإبداع وكثرته، النقد ممارسة معرفية علمية مرتبطة بظاهرة الأدب وتطوره، إذا ما فتئ كل إبداع سردي أو شعري يقابل إبداع نقدي في مواكبة دائبة عبر توالي العصور وتعاقب الأجيال، والنقد في مسيرته مرتبط بالأدب لاحق به ملازم له، يرصده ويترصده ويتصدى له، إنه قدر الأدب المحتوم الذي لا مفر له منه، فكما أن النظرية الأدبية السردية تتطور بفعل تطور الأشكال

[1]– المرجع السابق، ص 14.

والمضامين السردية، فإن هذه الأخيرة تتطور بفعل تطور النظريات السردية، من خلال تحقيق الممكن السردي واقعيا، بفعل حركات التجديد والتجريب على المستوى السردي.[1]

وكنتيجة حتمية لذلك تأخرت النظرية السردية في الظهور الرسمي على الساحة النقدية، فأدبية السرد بَنَتْ العصر الحديث؛ خاصة في شكلها القصصي والروائي مما يجعلها تكاد تفلت من إطار الأحكام المسبقة التي تلاحق الشعر في النقد المعاصر، وعليه فقد تأخرت النظرية السردية عن ركبِ النظرية الشعرية لعدم إكتمال الأجناس الأدبية السردية ونضجها فنيا، حيث "يعتقد أغلب النقاد الإنجليز والأمريكيين أن الرواية تأصلت في القرن الثامن عشر، وقد رأينا في هذه المرحلة من تاريخ النظرية السردية أن الإهتمام قد إنصب على تحليل الأشكال السردية البسيطة ذات البنية البدائية، كما رأينا أيضا مع (بروب) وسابقيه (سلوفسكي، بيديي وفولوكوف) وليس الأشكال السردية.

وعلى العكس من ذلك، فإن الدراسات الشعرية كانت سباقة نحو الحداثة النقدية، تزخر بتراث نقدي شعري، فإن السردية كنظرية أدبية موازية للشعرية، فقد ظهرت مع مرحلة الحداثة النقدية، حتى أنه في أوائل هذا القرن كان تعريف الرواية، ومن ثم تاريخها مازالت أمورا مختلفا حولها، فالمفاهيم الأساسية في النظرية السردية قد بقيت محل خلاف بين الدارسين المشتغلين على السرد، حتى ظهرت النظرية النقدية الجديدة، وحتى إكتمل البناء الفني للأجناس الأدبية السردية، لتظهر بذلك نظرية سردية مكتملة، موحدة المفاهيم والمقولات بين المشتغلين في مجال السرد الأدبي، فالسردية كعلم مستقل في إطار نظرية الأدب العامة، لم تتشكل إلا من خلال تلك الجهود النقدية والتنظيرية التي جاءت مع البنيوية" ولم يعترف المفكرون والفلاسفة القدماء بجنسي الرواية لعدم وضوحه، وبروز ملامحه على

[1]– المرجع السابق، ص 15.

تلك العصور الموغلة في القديم، فقد تأثر التنظير الفلسفي للرواية كجنس أدبي، منذ عصر (أرسطو) حتى زمن (هيجل) ضمن فلسفته في علم الجمال.[1]

إن النظرية السردية في أصولها إلى عهد قريب تنتهي إلى نظريات أدبية وسردية، لإعتبارات عدة؛ أهمها كون الوعي النقدي بوجود ظاهرة سردية متميزة وقائمة بذاتها، لم يتشكل إلا مع التطور الهائل الذي عرفته الظواهر السردية (الآداب السردية) من جهة أولى، وكذا تطور المناهج النقدية في مرحلة الحداثة النقدية وما بعد الحداثة النقدية من جهة أخرى، ويلاحظ الباحثون أن البلاغة العربية قد إشتملت على كثير من أسس السرديات؛ حيث وجدت حدود القص أصولها وبعض الظواهر اللافتة في مبادئ اليونان والرومان البلاغية، بَيْد أنها دخلت بكامل مقتضياتها في البلاغة ابتداءا من القرن السادس عشر والمراحل التالية له، وتبقى جميع هذه الجهود النقدية البلاغية محاولات معيارية غير علمية تواكب ظروف تلك المرحلة فحسب، وبالتالي لم تستقر النظرية السردية إلا في العصر الحديث.[2]

وعليه فإذا كان السرد الأدبي من جنس السرد، وكانت أنواع السرد في العالم لا حصر لها، وهي قبل كل شيء تنوع كبير في الأجناس، فإن وضعها ضمن التقنين العلمي أمر عسير أمام الباحث في علم السرديات. "ومن هنا يمكن تصور حجم الصعوبات التي تعترض الباحث وهو يواجه جنسا أدبيا على هذه الدرجة من التنوع والمرونة، فالباحث في هذه الحالة أمام ظاهرة غير خاضعة لمبدأ القوانين والحتمية، بل إنها تخضع لمبدأ الإحتمالات واللاحتمية، إنها ترفض القواعد الثابتة المُقيدةِ لها، وغياب القواعد هذا، يعتبر طبعا من أولى الصعوبات التي تواجه كل باحث يود الخوض في هذا المجال، خاصة إذا ما أحسن كتاب الرواية إستغلال ظرف غياب القواعد والقوانين السردية، فأباحوا لأنفسهم تمييع هذا الجنس الأدبي أكثر فأكثر، وفي الوقت الذي يتناقش فيه النقاد حول النظريات قد ينتج الكتاب

[1]– المرجع السابق، ص 16.

[2]– المرجع نفسه، ص 17.

المبدعون أعمالا أدبية جديدة تغير أرضية المناقشة نفسها، وعليه كان لابد من ظهور نقد جديد قادر على التصنيف والتقنين والتعقيد لهذه السرود الجديدة في بنائها.[1]

إن النصوص السردية في العالم لا نهائية من حيث عددها وحجمها وشكلها، إذ تتخذ لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسرُ تعريفها تعريفا جامعا مانعا، ذلك لأننا سنجد الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما ستتميز عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الصميمة، وعليه فقد تخلت النظرية السردية، كرها لا طوعا، عن مقولاتها ونماذجها التحليلية القديمة المستنبطة من إستنطاق السرود القديمة، وتبنت في المقابل رغما عنها مقولات جديدة مستنبطة من السرود الجديدة، وهذا بالموازاة مع التطور الحاصل على المناهج النقدية الحداثية (البنيوية) التي جاءت لتعوض القصور الذي تعاني منه النظرية الأدبية بصفة عامة.

I-3.1. نشأة السرد العربي وتحولاته الأجناسية

إن البحث في تاريخ الآداب العربية حديث جدا، فلقد إنصبت جهود الدارسين والباحثين في التاريخ الأدبي على الشعر الذي كان يحظى بحصة مهمة في الرصد والتحليل، يبدو ذلك في كثرة التصاعيد في تاريخ الشعر العربي، وقلة ما يندرج منها في تاريخ النثر، وحتى في هذه القلة، كان السرد أو القصص يتناول بسرعة، ويحتل مكانة ثانوية لأنه كان ينظر إليه بإعتباره تجليا نثريا، أو تنويعا من التنويعات النثرية، وبالمقابل كانت بعض الأنواع السردية (المقامة مثلا في مرحلة والليالي في مرحلة أخرى) تنال إهتماما متزايدا من قبل الدارسين والمهتمين.[2]

[1]– المرجع السابق، ص 17.

[2]– سعيد يقطين، السرد العربي – مفاهيم وتجليات، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 77.

فالزمن الإنساني ليس مادة للسرد أو الحكاية فقط، بل هو يعاش كتجربة متقطعة ومؤسسة ضمن سرد يحكي تاريخا معينا وهذا السرد يمكنه أن يكون تاريخيا كما قد يكون تخييليا.

يعتبر السرد العربي من القضايا والظواهر التي إستحوذت على إنشغالات الباحثين العرب في العصر الحديث، وأخذت تستأثر بإهتمام الدارسين المعاصرين، وذلك برجوعهم إلى تصفح مصنفات النثر العربي القديم، وإستظهار أولى النصوص السردية التي وضعها الباحثون العرب محل الدراسة والتحليل لتكون شاهدة ودالة على أن العرب مارسوا السرد والحكاية منذ زمن بعيد بأشكال وصور متنوعة، وإنتهى إلينا مما خلفه العرب كتراث مهم، لكن السرد كمفهوم جديد لم يتبلور بعد بالشكل الملائم ولم يتم الشروع في إستعماله إلا مؤخرا وبصور شتى.[1]

يضاف إلى هذا أن السرود عندما تنشأ في أي مجتمع فهي تنشأ وقد طبعتها المشافهة بسمات معينة، تتصل بطبائع الناس العاديين وبأوهامهم وخرافاتهم ومجمل تصرفاتهم الحياتية، في صور ولوحات متتالية أقرب ما تكون إلى نمط عيشة الطفولة الساذجة. ومع أن كثيرا من السرود العربية قد دونت في مراحل لاحقة متأخرة غير أن صلتها لم تنقطع بمجالها الشفاهي الخصب الذي هو سر جمالها وجاذبيتها.

إن عملية الإنتقال من الشفوي إلى المكتوب سجلت بصمات أساسية في رسم تحول إستراتيجي لبناءات مشتتة تحت معطف الشعر الدافئ وأشكال أخرى لتأريخ الزمن وبعض أحداثه ضمن نسق المكتوب...، بحيث أن السرد العربي في تشكلاته الطويلة والمعقدة، والطابع المحايث للنثر ووظيفته المتنامية، حقق الإنتقال التدريجي ومعه تحققت مسارات

[1]– المرجع السابق، ص 57.

أخرى من التحولات في مستويات شتى أبرزها تحويل التجربة الذهنية أو المعيشية من أفعال وتخييلات إلى لغة شفوية ومكتوبة ضمن نسق تجانسي معين.[1]

ففي سياق التحولات التي قادت السرد العربي للإنتقال من الشفاهية إلى المكتوب، كانت هناك عوامل محددة ساهمت في بناء نسق ثقافي مؤطر دينيا بظهور القرآن الكريم، والقصص، والإعجاز البلاغي، وما أفرزته المرحلة من إرتباطها بأيام العرب الجاهلية، من إنفتاح مجموعة من الرواة والمفسرين على سرد ما جاء في القرآن وذكر المغازي وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرَ الأنبياء والأوّلين والطبقات، وتاريخ البلدان، ومهام الرواة في إستعادة الماضي بحكي الأيام[2]، هذه البنية المؤطرة بأهداف مرسومة ستعرف إتساعا ببروز أشكال محايثة تضفي التنوع على هذا النسق الثقافي الذي يحضر فيه السرد جليا بحيث إتسعت دائرته لتشمل سير الملوك، الحكي عن الظواهر الطبيعية التاريخية: تشكلت هذه الحكايات حول ظواهر بصيغ متعددة، مما أكسبها مسارا حكائيا وحكي حول الفضاءات منظورا إليها تاريخيا ورمزيا وأسطوريا، هذه الأنواع الثلاثة حكي حول الأشخاص – حكي حول الظواهر الطبيعية التاريخية – حكي الفضاءات من السرود في المؤلفات التاريخية والأشكال المتفرعة عنها، تفرز الحدث الحكاية التي عادة ما تكون قصيرة ومحدودة لكنها تنسج في مجموعها بناءا تاريخيا حول فترة زمنية أو فضاء أو ظواهر أو وقائع مرتبطة فيما بينها.

هذا البناء السردي يعتمد بنية الخبر إستنادا عن طريق المشاهدة أو السماع أو مطالعة المؤلفات الكبرى من التاريخ إعتمادا على المتخيل ووقائع تصاغ في سياقات جديدة تتقاسم بنسب متواترة هي:

[1]– المرجع السابق، ص 58.

[2]– إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، – الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، 1987، ص 24.

- عنصر التشويق الحكائي.
- عنصر الغرائب الحكائية.
- عنصر الإرتحال والإنتقال التخيلي.[1]

فرغم كل الخواص المشتركة، فقد نما السرد العربي مؤسسا لإختلافه في البناء وطريقة عرض الأحداث سواء بالنسبة للأشكال الكبرى أو الصغرى الخالصة أو الهجينة، كما ترعرع ضمن مجددات دينية وثقافية ومؤطرة متنوعا يتلاحق ويختصب بعناصر المتحركة فضلا عن كون السرود القديمة التي صيغت في أشكال تخيلية مختلفة تفسر رؤية أو تدعم شعيرة دينية، الأمر الذي يفضي إلى خلاصات أولية تحيل على الجوانب الحكائية للسرد العربي القديم

فقد ترعرع في بيئة ثقافية إنفتحت على أشكال متنوعة تفصح عن تجذر الحكي والخبر في الأدب العربي إبتداءا بالمغازي التي تمثل أولى أشكال الإبداع الشعبي العربي الإسلامي على يد ابن إسحاق والواقدي، وقصص الأنبياء وأخبار الأولين والسير، ثم تطورت مع الحكايات والمقامات والرحلات... وهي نصوص يتقاطع فيها المرئي/المشاهد بالمسموع والمختلق والخيالي وكل هذا ينصهر ضمن موروث ثقافي وحضاري عام، وبعض الغرائب والطرائف والمسامرات والشروح، وتجلى ذلك في مؤلفات أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ وأخبار المذاكرة للتنوخي.[2]

- السرد العربي الحديث:

بدأت السردية العربية الحديثة مخاضها العسير في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إثر إنهيار النسق التقليدي في الثقافة الموروثة وتفكك المرويات القديمة، وإنكسار الأسلوب

[1]– شعيب حليفي، الرؤية في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 20–21.

[2]– عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة – الأبنية السردية والدلالية، دار الفارس للنشر والتوزيع،ج3، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص 9.

المتصنع في التعبير، وتغيير طرائق التمثيل السردي، فحاولت الرواية بإعتبارها ممثلة لتلك الظاهرة الجديدة، إنتزاع شرعيتها بين الأنواع الأدبية السائدة بعد أن نظر إليها كثيرون من أنصار الفكر القديم على أنها سقوط مروعٍ لمعنى الأدب القومي وقيمته، وتكشف ظروف نشأتها بأنها واجهت صعابا إستثنائية قبل أن تحوز الإعتراف بها نوعا جديدا يستحق الإهتمام الثقافي.[1] وقد توصل النقاد إلى أن السردية العربية الحديثة هي نتاج مخاض عسير بين الأشكال النثرية الحية و الموروثة القديمة بدرجة أقل وبفعل التأثير الأجنبي وجدت مميزاتها الفنية وغنى في تقاليدها الناضجة

أ- الرواية:

لقد بدأ تركيب الرواية ببنائها بناءا، والذين أتوا بها على إطلاع واسع بالأدب الغربي، وأول من نهجه رفاعة الطهطاوي في تلخيص الإبريز في تلخيص باريز فهو أشبه بسيرة ذاتية، وجاء من بعده علي مبارك على شكل حوار وأحداث "على مسرح الدين" ثم ترجمة الرواية الغربية ترجمة عربية مثل محمد جلال في ترجمة "بول وفيرجيني"، وجاء ميلاد الرواية "زينب" لمحمد حسين هيكل عام 1911، فقد أخذوا الهيكل الغربي لكن مضمونه يحاور التموضعات المعيشة عن البيئة المصرية، وهناك إتجاه محافظ يستلهم التراث ويحافظ على قوالبه ونهج منهج ألف ليلة وليلة والمقامات ومنها "ليالي سطيح" لحافظ إبراهيم، "زورقة الأسى' لشوقي، والمقالات القصصية للمنفلوطي، ثم صدرت روايات كثيرة لتوفيق الحكيم (عودة الروح) ونجيب محفوظ وطه حسين (الأيام)، والشيخان، وصدر للعقاد رواية (سارة) وللمازني إبراهيم الكاتب وصدر كثير غيرها من عام 1911 حتى 1931 وتشكلت خلال ذلك موضوعاتها وإتجاهاتها الفنية من الموضوعات: الرواية التاريخية، والرواية

[1]- مسعد بن عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، دار الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430 هـ/2009م، ص 145.

التعليمية، الإجتماعية، الفكرية، ومن الإتجاهات الرومانسي، الواقعي، الرمزي، الإيحائي.[1] فقد صنفت الروايات من بداية الفترة الزمنية الثانية من القرن الثاني في منظومة العوالم التي تخوض في ساحتها التعبيرية وطاقاتها المخيالية فأضحت تحتل مكانة مرموقة وإنتخابها كنوع أدبي سواءا من حيث المضمون الذي تعبر عنه أو من حيث الشكل التجريبي أو التيار الذي ينتسب له الروائي لخدمة الجوهر المتصف به والأساليب السردية التي إعتمدها في هيكلتها قصصيا عن تماسك وتسلسل

ب- المقالة:

نشأت المقالة مع نشأة الصحافة بدءا بالوقائع المصرية والجوانب السياسية وتطورت بتطور الصحافة، ولم تشتغل المقالة الصحفية إلا عندما إشتعلت أحاسيس الكاتب وحماسه، ولا نزكي هذا الحماس فقد يكون ضد الإسلام، فلما ظهرت الدعوة إلى القومية العربية، وألقيت مسؤولية الأمة على عاتق الكتاب، حملوا فكرا تحمسوا له وهذا الفكر يختلف: (إسلامي، قومي، علماني، وطني)، قيام الوعي في البلاد العربية، فالشعلة الفكرية هي التي حملت المقالة وطورتها وقدمتها وتنوعت ألوانها من سياسية، اجتماعية، وأدبية وفكرية، مناهضة للإستعمار والأحزاب السياسية فتعدد الأحزاب أشعل المقالة، لأن كل حزب له صحيفة ومبدأ يدافع عنه في صحافته، كثرة المجلات، مثل مجلة الأدب في لبنان، مجلة الهلال، وهي علمانية، ومجلة الشهاب، ومجلة المثقف، والرسالة لأحمد الزيات، وهي أدبية ذات قيمة عالية، ويغلب عليها الفكر السليم، كذلك ظهر في المملكة: المنهل لعبد القدوس الأنصاري، ويديرها حاليا حفيد و الفيصل والمجلة العربية وظهرت في الكويت (العربي) وعالم المعرفة وعالم الفكر، ومجلات المجامع العربية."[2] إذن فالمقالة صناعة العصر الحديث وهي في ظروف ظهورها مصادفة للصحافة أي إلى عهد نابوليون بونابارت في

[1]- المرجع السابق، ص 147.

[2]- المرجع نفسه، ص 138.

حملته التوسعية على مصر وظهور المطابع الحديثة وإنشاء الصحف روجت للمقال الذي كان وثيقة خصبة يدافع بها كتابه عن الأحداث والتأزمات المعيشة .

ج- القصة القصيرة:

تولدت من المقامة العربية ومن القصة العربية القصيرة الغربية، ونشأت مصاحبة للمقالة فأكثر المقالات في البداية تحمل روح الحكاية وقد تشكلت في العالم العربي ممتزجة بروح الترجمة على يد محمود تيمور عام 1917 – 1925 وبعض اللبنانيين وتكاملت حلقاتها في أرض الكنانة ومن كتابها محمود طاهر، ونجيب محفوظ، ويحي حقي ويوسف إدريس، وفي السعودية أحمد السباعي وإبراهيم الناصر، وخالد غالب أبو الفرج، وقد مالت إلى معالجة القضايا الإجتماعية وهي تميل إلى المباشرة، والبناء السردي الذي يقوم على الحادثة وتسلسل الحدث، وهناك محاولات رمزية ويظهر التحليل فيه يمثل حضور السارد ذاته ويكشف عن آرائه وقد تكاثر القصص القصير في آخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرون في سائر الدول العربية.[1] حيث عدت حديثة الظهور وأكثر الأنواع الأدبية رواجا كما تمثل حدثا واحدا في زمان واحد لاتقل مدته عن ساعة واحدة .

[1]– المرجع السابق، ص 144.

II-2. التداولية؛ ماهيتها وملامحها في الدرس النقدي المعاصر

II-1.2. النظرية التداولية:

تعرف التداولية بأنها دراسة اللغة في الإستعمال، ويتضمن هذا إحصاءا لكل العناصر اللغوية وغير اللغوية التي تُسهم بشكل من الأشكال في عملية التواصل، بما في ذلك العلاقة بين اللغة ومستعمليها، والعلاقة بين النص وظروف التواصل، وقد أدى سلوك العلماء لهذا الإتجاه في وصف اللغة إلى إثارة عدد من القضايا التي تتصل بالورود الطبيعي للغة.

"ولأن التداولية تقوم على دراسة إستعمال اللغة، فإهتمامها في مجموع تعريفات هذا الحقل ينص على دراسة العلاقة بين المتكلم والسامع، بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملابسات وشروط مختلفة؛ حيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الإتصال والتفاعل. وتستند إلى علم اللغة النفسي وعلم اللغة الإجتماعي، وتعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية [أو أفعال كلامية] وقواعدها بالنسبة إلى السياق"[1]، كما أدلى بذلك الدكتور مسعود صحراوي في كتابه الموسوم بـــ:"التداولية عند العلماء العرب بقوله "كما أن التداولية تبحث في العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"[2]، "ويتلخص ذلك في دراسة العلاقة بين المتلفظ والمخاطب، فموضوعها -إذا- هو التواصل البشري المعتمد على دراسة المقام، والشروط المناسبة لأداء الحديث"[3].

والتداولية في الإصطلاح اللساني هي ذلك الإهتمام المنصب على مستوى لساني خاص يهتم بدراسة النشاط اللغوي في علاقتها بالسياق التواصلي لعملية التخاطب وبالأفراد الذين

---

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجلفة، الجزائر، 2009، ص 70.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 5.

[3]- المرجع نفسه، ص 70.

تجري بينهم تلك العملية التحادثية، وبعبارة أخرى فهي تركز إهتمامها على مجموعة الضوابط والمبادئ التي تحكم عملية تأويل الرموز الصوتية والإشارات والملفوظات اللغوية في إطار الحوارات التواصلية للبشر، فهي مستنفذة من الجذر اللغوي "دَوَلَ" إلى ينتقل من حال إلى حال أما في الإصطلاح فتعنى بدراسة العلاقة بين الخطاب ومستعمل الخطاب أو بين العلامة ومستعملها في إرتباط العلامات اللغوية والمشاركين الفاعلين مع المقام في مواقف معينة، كما يحدد المقام هوية المتخاطبين ومحيطهم المادي، والمكان والزمان اللذين يتم فيهما الغرض وكل ما يندرج في الدراسة الإشارية، فالسياق هنا يجمع بين أفراد موجودين في العالم الواقعي.[1]

وقد جرى ترجمتها بين البراغماتية اللسانية "في توصيف المصطلح الدقيق (*linguistic pragmatics*) بمعنى "البراغماتية اللسانية" و"التداولية اللسانية"، ويرى محمد عكاشة في تصوره الذي يسلّم بلزوم إستخدامه مصاحبا اللفظة الدخيلة (البراغماتية) أدق تعبيرا عن مفهومه، لأنه يحمل دلالته في ثقافته الأصلية، ومقابل عربي يحمل دلالته الفلسفية الغربية التي تعني تحصيل كل وجود المنافع لسبيل التفرقة بينه وبين القرينة الوصفية (*lingustic*)"[2]، حتى أن البراغماتية فلسفة ترى أن معرفتنا للأشياء هي تصورنا للآثار العملية لتلك المدركات والأشياء، ولذلك يحتكم إليها الفيلسوف لحل الخلافات الفكرية، كما هي نظرية في المعرفة لا تتعلق بالقضايا اللغوية فقط، بل تتناول كل المجالات المتعلقة بالمعرفة الإنسانية، إستنادا إلى براغماتية بيرس "وهو يتناول علاقة العلامة أو الرمز بالمدلول أو الشيء، كما أتى بهذا المصطلح من عند إيمانويل كانط الذي ذكره في كتابه أسس ميتافيزيقا الأخلاق واضعا أول مبدأ من مبادئها والذي يراد به أن تحليل اللغة في ذاتها يقوم على تحليل علاقتها بالمتكلم ويضاعف إيضاح الفكرة عندما نزع إلى النظر للغة في كتابه

[1]– محمود عكاشة، النظرية البرغماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2013، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص 11.

الفلسفة الألمانية أن "اللغة تهدف للوصول إلى الكلمات التي تعطي إعادة عرض حقيقية للعالم.... بمعنى التي تعرض مجددا ما هو موجود بالفعل كما هو"[1] ، وقد رأى أن السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، فهي نظرية في المعنى لأنها تفسر معاني الأشياء إنطلاقا من الآثار العملية لهاته الأشياء، وبراغماتية تشارلز موريس "فقد إستخدم المصطلح البراغماتي بمفهومه الإصطلاحي الخاص في الدراسات اللسانية في حديثه عن علاقة العلامات بمؤوليها في كتابه "أسس نظرية العلامات"[2] ويبين هذا الكلام أن موريس نظريته قد أرسيت على مبدأ الصدق لأنه من خلال التجربة العملية يحكم على القضايا بالصدق أو الكذب "الذي قدم كتابه زكي نجيب محمود ومن ناقلي مصطلح البراغماتية وتعريبه"[3]، ثم يصل لطه عبد الرحمن أيضا الذي عرفها بعد ترجمانه له بتداوليات واللسانية التداولية قائلا بعد ذلك "أنها وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"[4] أي دراسة العلاقة المتداخلة بين الخواص الفردية أو تجربة المستعمل المؤلف أو المعبر مع العلامة. بمعنى أنها الدراسة الواصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها.

تنحصر المجالات البحثية للتداولية في العناصر الآتية:

[1]– أندرو بووي ،الفلسفة الألمانية (مقدمة قصيرة جدا)،تر محمد عبد الرحمن سلامة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1 القاهرة ،مصر،2015،ص 27

[2]– محمود عكاشة، النظرية البرغماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2013، ص 15.

[3]– أنظر: وليام جيمس، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، تق: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص 04.

[4]– طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي للنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 244.

1. دراسة (إستعمال اللغة) لا من حيث بنيتها كما تفعل البنيوية، بل عند إستعمالها في الطبقات المقامية المختلفة؛ أي إعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في ملابسات تواصلية معينة، لتحقيق غرض تواصلي محدد.

2. شرح كيفية جريان العمليات الإستدلالية في معالجة الملفوظات.

3. تشخيص أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفية في معالجة الملفوظات.

4. تبيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر". أي دراسة علاقة التحصيل اللغوي بنجاح والسياقات التي ينجز ضمنها الخطاب ونعني بذلك العبور من شيء مادي خالص إلى شيء وسيط ثقافي ويتميز المقام بالإعتراف به إجتماعيا كمتضمن لغاية أو غايات وعلى معنى ملازم تقاسمه الشخصية المنتمية إلى نفس الثقافة وإعتمادها على النظرة الثلاثية بين المبدع والنص والمتلقي، واللغة التداولية ثلاث مظاهر: مظهر خطابي ومظهر تواصلي ومظهر إجتماعي.

وتسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات إذ ينفذ المتخاطبون أدوارا تداولية محضة هي الإقتراح والإعتراض والتطبيق، ويستدعي فعل لغة ما فعلا آخر لأنه يخصص بحسب بعض العوائق المقطعية، لأن تسلسل أفعال اللغة قضية منتهية لمحور هذا الحقل.[1]

[1]– خلف الله بن علي، التداولية مقدمة عامة، مجلة إتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 14، العدد 1، 2015/10/25، ص 226–227.

II-2.2. التداولية وعلاقتها بالعلوم المجاورة:

أولا: التداولية واللسانيات:

إن التداولية لا تستغني عن اللسانيات فهي المنبع الذي تستمد منه مبادئها وخاصة في مجال التراكيب الذي يعنى بوصف العلاقات الشكلية بين الجمل أو كما إصطلح عليها بلسانيات الكلام أو التلفظ التي تختص بدراسة عملية التلفظ من خلال إستنتاج علائقية الملفوظ بمقامه، كما أطلق عليها شارل بالي مصطلح "لسانيات الخطاب" وأيده ويليام جيمس وأندري مارتيني في مفهمته لها، كما إنطلق في التعامل مع عناصر اللغة بدراستها ضمن الظواهر السياقية والعناصر الخارجية الفاعلة في عملية التواصل الحي، ويجزم الدكتور مسعود صحراوي القول "بأن أقرب حقل معرفي إلى التداولية في مفهومه هو اللسانيات، وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى التي يشترك معها في بعض الأسس المعرفية نظرية كانت أم إجرائية، وذلك قبل فهم المعيار الأول الذي يتمثل في البنية اللغوية ومستلزمات إستعمالها"[1]، وتفصيل الكفاءة الأدائية في فضاء التواصل اللغوي وتفسيره؛ من "البنية اللغوية – قواعد التخاطب – الإستدلالات التداولية – العمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين"[2].

ثانيا: التداولية والسيمياء:

"التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، فهي تعنى بدراسة إستعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية، فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص 16.

إستعمالها، وعرفها فرانسيس جاك بقوله: "تتطرق التداولية إلى اللغة في أبعادها الخطابية والتواصلية والإجتماعية معا، وللتداولية إتجاه جديد في دراسة اللغة يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس سوسير وكتابات تشومسكي، ذلك أنهم إنكبوا على دراسة الأشكال الدلالية لا الدلالة، وإهتموا بالمقام اللغوي وأصبحوا ينظرون في القول ويتساءلون عن علاقة اللغة بالكلام، وجدوى التفريق بينهما، وتصنف التداولية داخل نظام علاماتي عام، له جذوره في مشروع بيرس وبعض اللغويين من أمثال: شارل موريس، وكارناب ووليام جيمس، ولم تظهر البراغماتية إلى النور حتى سنة 1878م، حين كتب بيرس مقاله المشهور "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" والذي يعتبر إمتدادا لمقال "تثبيت المعتقد" سنة 1877م، فقد إعترض على رأي باركلي القائل بأن الطريقة الوحيدة لتقرير طبيعة المعنى المتميز لأي لفظ هي أن نسأل: هل تستطيع تعيين أية فكرة عقلية تتطابق معه؟ فقد رأى باركلي أنه إذا لم يكن في مقدورنا إستخدامه، أو أن نقوم بفعل شيء بموجبه بطريقة ملائمة ومتميزة، ثم بعد هذا بعامين أضاف أن معنى أية فكرة يكمن –بالنهاية– في تأثيرها على أفعالنا، أو أن البراغماتية عنده تجعل التفكير في علاقة بالفعل لكنها تستبعد أن تكون مجموعة الأفعال المرتبطة على إعتقادنا بالشيء، هي معنى ذلك الشيء"[1].

نفهم من خلال الكلام السابق أن العلاقة التي توطدت بها التداولية بالسيمياء هي أن التداولية تفسر المعرفة إنطلاقا من التجربة والسيمياء تدرس العلامات التي تختزل هذه المعرفة، فلا يمكن إستعمال الخطاب وتحليله إلا في ضوء التجربة والآثار العملية، فالإنسان يجسد العلامات في ذهنه ويخزنها وفق الإقتضاء المحتاج له، تسمى معرفته ليستخدمها بعد ذلك.

[1]– فرحات بولي، التداولية في المعاجم العربية (قراءة في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بوقرة)، مجلة الممارسات اللغوية، المركز الجامعي بالبويرة، العدد الخامس، 2011، ص 153 – 154.

ثالثا: التداولية والبلاغة:

"إن علاقة البلاغة بالتداولية لم تكن وليدة النقد الحداثي، وإنما تمتد جذورها في التراث العربي والغربي على السواء، ففي التراث الغربي نجد أن البلاغة (*rhétorique*) قد إقترنت بعلم الخطابة، وقد عرفها قدماء اليونان والرومان على أنها مجموعة من القواعد التي من شأنها أن تجعل الكلام يتمتع بالقدرة على إحداث الأثر في نفوس المتلقين وإقناعهم، وقد قسموها إلى أقسام ثلاث هي: الخطابة التداولية؛ وهي التي يراد بها إقناع السامعين بتفضيل منهج على غيره في العمل أو الرأي، والخطابة القضائية؛ التي تشمل وسائل الإتهام والمرافعة والدفاع أمام القضاء، والخطابة البيانية؛ وهي تلك التي تشمل التقريظ والتقريع"، ويعتبر أرسطو في هذا المجال رائد الدرس البلاغي التداولي، حيث يُعد كتابه "الخطابة" من المؤلفات الأولى التي كان لها دور الريادة في الكشف عن الأبعاد التداولية للخطاب البلاغي"[1].

"أما في تراثنا العربي فإن الجاحظ يُعد أول من أرسى دعائم التداولية في البلاغة العربية، وذلك من خلال التأكيد على الدور التداولي للخطاب البلاغي، وقد إهتم الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" بقصدية الخطاب البلاغي الذي لا يكتفي –حسبه– بتحقيق شروطه الجمالية البحتة، وإنما يتعدى ذلك إلى تحقيق أهدافه النفعية من خلال إحداث التجاوب بين المخاطب والمتلقي وفي هذا الشأن نجده يبني مفهومه للبيان على أساس تداولي فيقول: "البيان إسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، وإنما الفهم والإفهام: فبأي شيء بلغت

[1]– ملاس مختار، البلاغة والتداولية "قراءة في تداولية الخطاب البلاغي"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة سطيف، العدد 8، أبريل 2011، ص 141.

الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1]، ويتضح من كلام الجاحظ أن ماهية البيان ترتبط أساسا بعملية الفهم والإفهام وإقناع السامع والقارئ في ترييض التقنيات البيانية الباعثة على إذعانه والتسليم بما حاورته وداورته بالمنطق الكلامي السليم .

ولقد تبين أن أرسطو كان يمتثل للتداولية داخل النص الخطابي فقد لاحظ في عهده أن الخطابة كانت تتغيا التأثير وتخاطب الإنفعالات ومن خلال ذلك تهدف للإقناع وفي نفس الوقت تنتمي للخطابة والبلاغة (وجدانية – جمالية) بيد أن العرب كانوا ينظرون للتداولية على أنها إقامة الحجة والمدارسة النصوصية بالحجج والإستدلال فيما إختلف فيه من إعتقاد المتجادلين، وميزا بين نوعين من الكلام في الموضوع بطريقة إخبارية والكلام في الموضوع بطريقة إحتجاجية إستدلالية، فأحيانا يحمل معه التمويه والإستدراج وتهيئة المستمع بآليات بلاغية من صنع الخيال لدحض الشكوك من ذهنه وتقبله لما يقال له كما إشترطوا مقتضى الحال في الأمر وهو أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم، فهي قياس مقامي كامل في الذهن وغير مكتمل في التعبير، فأحيانا يحذف عنصر في الأطروحة أو الفكرة من إحدى مقدماتهما، هذا الحذف يجعل المتلقي يشارك في بناء القول للتوصل للنتيجة المبتغاة والمنتظرة منه.

II–3.2. في المقاربة التداولية للأدب:

لقد قدمت المقاربة التداولية للأدب والنقد منفذا جديدا وتحولا معرفيا للنصوص الأدبية وجدت من خلاله التداولية كمقاربة نقدية حديثة ذات منحى لساني بلاغي، تقود عملية القراءة والتأويل والتحليل للبنى النصية في جُوَّانِيَة المتون الأدبية للكشف عن قيمها الفنية والجمالية والتبليغية التراسلية بمختلف تمفصلاتها وتوجهاتها الإبستيمولوجية.

[1]– محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي –مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول أنموذجا)، إفريقيا الشرق، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 142.

"تعتبر التداولية أن الأدب خطاب تخييلي بإمتياز، وبالتالي فخاصيته التخييلية تجعله من طبيعة مغايرة لخطاب الحياة اليومية والأدب كوثيقة مخيالية تتخلص من معياري الحقيقة والصدق اللذان يعتبران شرطا أساسيا للتصور التداولي للكفاية التواصلية، فالخاصية الأساسية للعمل الأدبي هي بالضبط إنسلاخه من السياقية المرتبطة بالواقع، فهو يؤسس عوالمه الخاصة الداخلية التي لا تحيل إلا عليه، وتضمن له التواصل مع مخاطب / مخاطبين في علاقة لا تبادلية، حيث تنعدم وحدة الفضاء والزمن بين طرفي الفعل التواصلي، ولا يحتاج المؤلف أن يؤكد على صدقية أقواله[1] ، ويفترض سيرل أن مؤلف التخييل يختلف دون أن تكون له قصدية تضليل المستمع أو القارئ، أما جودمان فيميز بين التمثيل والتعبير، فيعتبر الدلالة التمثيلية هي ما يقدمه العمل مباشرة، والدلالة التعبيرية هي ما يوحي به العمل من معرفة، وفي مجال التخييل تكون الدلالة التمثيلية غير ذات جدوى"[2].

أولا: أفعال الكلام:

وفي هاته المقاربة التي إهتمت في المقام الأول بدراسة الأنساق اللغوية وتوظيفها تواصليا "المثلث التداولي – أفعال الكلام – المقصدية والمعنى – ثم الكفاية التواصلية.... ومن أجل أن تجعل لأفعال الكلام فاعلية منهجية في التحليل أي ربطها بمقصدية المتكلم، أي أن المتكلم يعبر عن نية تواصلية بطريقة خفية، وبالتالي يجب التمييز بين المعنى الإتفاقي اللساني للملفوظ والمعنى القصدي التداولي الناتج عن استعمال هذا الملفوظ"[3].

لكن الأفعال الكلامية تحمل أحداثا كلامية وأحداثا دلالية ومدى إنجازها لمتغيرات مهينة وخاصة لدى الآخرين، "فأساس الفعل الكلامي ما يمكن أن يحققه المنطوق في إطار عملية

[1]– إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة محمد تنفو، ليلى إحمياني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2018، ص 13.

[2]– المرجع نفسه، ص 14.

[3]– جواد ختام، التداولية أصولها وإتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1437 هـ/2016م، ص 90.

التواصل خاصة فيما يتعلق بالتأثير في المتلقي بطريقة ما كالقسم والوعد والسؤال والأمر والنهي والنداء وغيرها"، وقد قسمها سيرل لملفوظات تعهدية وملفوظات إنجازية -إخبارية- تصريحية – تعبيرية، ولدى أوستين بين فعل لغوي – إنجازي – تأثيري – طلبية – سلوكية – حكمية.[1]

ثانيا: الإشاريات:

"ليست الإشاريات مبحثا مستحدثا ولا مستجدا على حقل الدراسات اللغوية، إذ تناوله النحاة في مصنفات كثيرة، وإنشغلوا بالتقعيد له، وبيان خصائصه الصرفية والتركيبية والدلالية، كما تناولها الفلاسفة في مؤلفاتهم، في علاقاتها بقضية الدلالة والإحالة المرجعية، وإنشغل بها اللسانيون أيضا، محاولين كشف أبعادها المختلفة، ورغم الأهمية النظرية التي تكتسيها الإشاريات في النسيج اللغوي، إلا أنها لم تحظ بالعناية المطلوبة، مما يجعلنا أبعد عن فهم حدودها، كما تفتقد للنمذجة الملائمة للتعابير الإشارية، فإقترنت بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على زمرة من الوحدات التركيبية والعوامل الدلالية غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ"[2]، بمعنى أن الإشاريات عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب ما، ضمن إطار زماني ومكاني محدد، وهي "إشارات شخصية – إشارات زمنية – إشارات مكانية "[3].

ثالثا: السياق:

إن فهم السياق هو الطريق إلى إدراك معنى التماسك التداولي بوصفه علاقة تأويلية بين النص والسياق، بمعنى أن يسهم السياق بطريقة أو بأخرى في تشكيل النص وتأويله ووجود

[1]– المرجع السابق، ص 93 – 94.

[2]– المرجع نفسه، ص 75.

[3]– جواد تمام، التداولية أصولها وإتجاهاتها، ص 78 – 80 – 81.

تلك العلاقة يعني وجود بنية تأويلية تجمع عناصر لغوية، هي النص وبلاغته، وغير لغوية هي مكونات السياق المؤول، ولهذا لا مناص من تجاوز تصورات البنية المعزولة للنص، إذ أن أساس البنية هو العلاقة وتماسك الظاهرة لا عزل الظاهرة النصية عن سياقها، ولذلك يؤكد برونيسلاف مالينوفسكي أن "الكلمة من دون سياق هي مجرد تلفيق ولا تقوم بذاتها مقام شيء، إذن في واقع اللسان الحي المنطوق، لا يكون للملفوظ دلالة إلا في سياق المقام"[1].

رابعا: المقصدية:

لقد إهتمت الدراسات التداولية في بداية الأمر بالمتكلم بإعتباره قوة عليا يمتلك سلطة متفوقة، إذ يوجه للمخاطب الذي يكون في مرتبة دنيا، مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية، دون تردد أو مناقشة، كما هو حال الأوامر الدينية والعسكرية، ويسمى هذا بالتواصل التوجيهي، لكن هناك من يرفض هذا التصور الميكانيكي، فتعتبر المقصدية قاسما مشتركا بين كل من المتكلم والمتلقي، فيجعل المتكلم في قبضة يده، فيتصرف فيه كيفما يشاء، ثم يضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقي، بل قد يكون ناطقا بلسانه.

"وهكذا لم تخلو كتابة من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصدية ومما يفيد هذا المعنى "صراحة – تسبيقا – ميكانيكية موجهة" تشمل المتكلم والمخاطب أكانت تواصلية إخبارية أو حالية حاضرة /مستقبلية /مركبة وقد تتفق المقصديتان درجات من الإتفاق، وقد تختلفان درجات من الإختلاف"[2].

[1]– تمام حسان، إجتهادات لغوية، عالم الكتب للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2007، ص 237.

[2]– جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 2015، ص 26.

تداولية الخطاب السردي في مقامات جار الله الزمخشري

تمهيد

بناءا على ما تم رصده من المفاهيم النظرية للسرد والتداولية، تطرقت في هذا الفصل إلى تطبيق الظواهر التداولية وأبحاثها المنهجية التي تتمثل في صنوف الأفعال الكلامية والإشاريات والمقصدية والسياق على النماذج المختارة من مقامات أبا القاسم جار الله الزمخشري، تلك الآيات النثرية التي حصرت أغراضها الفنية وموضوعاتها الدينية في قالب النصح والوعظ والإرشاد والزهد والإلتزام بتقوى الله، كي يوجه بها نفسه ليكون إعتبار خير لغيره، بعد أن نجح في مزاوجة الأساليب النصحية فإختار المفردات والألفاظ التي يتسلح بها الواعظ في إبداء إرشاداته وخصال نصائحه إلى الآخرين، كي تستميل في أنفسهم وتستكين بالقبول والرضا، وتقابلها الأساليب اللغوية وتكويناتها التركيبية والبلاغية التي نسجت نصوصا مأثورة وجمالية، إضافة إلى التضمين الشعري في بعض من مقاماته مع مراعاة شروط نجاحها وإستثمارها في دراسة هذه المعضلات الأدبية، وإيراد المعاني التي أفادت النصوص بتعليل دلالاتها التي تبنيها على الوجوه البلاغية والروابط الإشارية المنطقية لمقتضيات العبارات التي تستوقفنا عند هاته النماذج تحت مجهر مقولات التداولية المذكورة سالفا.

III-1. الأفعال الكلامية في تراكيب المقامات حسب تصنيف جون أوستين

مثال 01:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
إذا أردت الرفول في مطارف العز الأقعس: فعل التقويم	**أقبل على نفسك:** فعل الطلب **سمها النظر في العواقب:** فعل التأنيب ومراجعة الضمير وتأنيبه	**عسيت بفضل الله:** الوعد والعهد **تنجو:** فعل الوعد والعهد الإلهي **وتفوز:** فعل الوعد	**إن خصال الخير كتفاح لبنان كيف ما قلّبتها:** من الأفعال الإنجازية	**دعتك إلى نفسها:** الأفعال التأثيرية أي سلوك الترحيب
قبل أن تحاسب: الإقرار، الإعلان عن حكم **قبل أن تعاتب:** إصدار حكم	**بصرها عاقبة الحذر:** الأمر: مر نفسك بالإستقامة لله وأنذرها عواقب الآخرة	**مما ترجو:** الوعد	**إن خصال الشر كحسك السعدان:** التأكيد والإجابة، الأفعال التعبيرية	**نهتك عن مسها:** الأفعال التأثيرية بمعنى سلوك الإمتناع ودفع الأمر اللا-مرغوب فيه.[1]
ثم إنتعشوا: الوصف الإقرارية **وجَدُّوا فيما أجدى عليهم:** الوصف **وانكمشوا:** الوصف	**ناغها بالتذكرة الهادية إلى المراشد:** فيه فعل الطلب حاسب نفسك الواهنة التي تأسى للشر بالتزكية الطيبة وأصلح أمرها.		**يكلم دينها:** الإجابة **يثلم يقينها:** التوكيد	
	نَادِهَا إِلَى الْعَمَلِ الرَّافِعِ: فعل الطلب **ألجمها عما:** الطلب. **حاسبها:** الأمر **عاتبها:** الأمر **أخلص اليقين:** فعل التمرس أي أمر			

[1]- أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، المقامات، طبعة جديدة ومشروحة ومنقحة ومقابلة على عدة نسخ ومخطوطات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، مج 1، 1402 هـ - 1982م، ص 03.

مثال 02

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
سقى الله أصداء قوم: الإقرارية، إصدار حكم **هفوا:** الإقرارية: الوصف	**خالص المتقين:** طلب **إمش على جادة الهادين الدالين:** طلب. **خالف عن بنيات طرق العادين الضالين:** الطلب، أفعال إنجازية		**لسعته لا ينفعك منها الرقي:** فعل التأكيد أفعال التأثير[1]	
	وإعلم أن الحامل على الضلال: النصح والترهيب **إخلط نفسك بغمارهم:** الأمر **إحملها على شق غبارهم:** الأمر			

مثال 03:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
لم ينجه من الإذعان لمذلة الخروج: قصد قضاء الأمر فيه لما يغتنم شبابه قبل كهولته ولا حتى في شيخوخته وحياته قبل مماته	**تَبَتّلْ إلى الله:** النصح **خلّ ذكر الخصر المبتل:** النصح وتقويم النفس وخلوها من التهافت الذي يشغل العبد للخشوع أمام الله.			**فإن لم تقبل عليه بوجهك:** أفعال النقد **وصفك بالكبرياء:** الشكر والمباركة **وإن لم ترعه سمعك:** النقد
لم ينقذه من قابض الروح: قصد القدر وإنقضاء أجله بعد إسراف حياته ولم يفنها فيما يرضي الله	**ورتل القرآن:** الأمر **عدّ عن صفة الثغر المرتل:** فعل النصح أي جَوِّدْ آيات القرآن بتبيين حروفها وإشباع حركاتها حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر			**نسبك إلى الرياء:** الشكر والمباركة **وإن أعطيته من نفسك:** الشكر والتعاطف[2]

[1]– المدونة، ص 3.

[2]– المدونة، ص 9

	المرتل			
ولم يخلصه من الإستكانة في القبور: فعل الحكم، لم ينجو من الموت اللامعتنق	**أدر عينيك في وجوه الصلاح**: الأمر لا تحط على عينيك إلا ما تستحق أن تقر إلا لوجوه الصلاح وخيرة العباد			
قد جرى أحدكما في طلق الضلال: إصدار حكم **وإستوى الأول على صهوة الباطل**: الحكميات	**لتعلق أصلحها**: الصلح، لتنشب في أخيار الخلق ومن له صلة بالخلق القويم ومن يعزم بتذليل أهوائك الجامحة يهون صعابك العارضة			

مثال 04:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
	لتعشق أصبحها: فعل النصح فلا تمترق بعينيك ما يغضب رب العباد ويدني من شرفك وحياءك وتعطيل سمعتك			**ما مضى في غير طاعة الله**: فعل الحسرة والندم وذم ما ضاع من غنائم الحسنات[1]
	إبك: النصح والأمر **دع البكاء على الضاعنين من أحبابك**: فعل الكف والإنتهاء ممن فارقتهم ورحلوا بجوار الله في دار السؤال. **قف على أطلالها**: أمر			
	ولا يكونن تأوهك وإستعبارك إلا للتذكر والإعتبار: النصح **ولا تستوقف الركب في أوطان سلمى ومنازل سعدى**: النهي ويتخلله النصح			
	ألق حبالها على غواربها: الأمر **إدأب نفسك في سبيل الله**: النصح والأمر **فأغنمها وشرد بها**: النصح والأمر **وقل إفلتِ يا نفس**: الأمر			

[1]– المدونة، ص 9.

مثال 05:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
وما يعنيك: إصدار حكم **فضرب بينك وبين ما كنت فيه بأسداد:** التشخيص، إصدار الحكم	**أزل نفسك عن صحبة الناس وأعزلها:** الأمر، النصح **وإئت فرعة من فراع الجبل وإنزلها:** الأمر **لذ ببعض الكهوف والغيران:** الأمر		**قاتل الله بني هذه الأيام:** التمثيل ونقل الخطاب للمستمع **كما ترشق بسهامهم الأغراض:** توكيد المفاهيم وتفسيرها	
ورماك بأمور من تلك الأول بّأضداد: إصدار حكم **وإفتن في الأحاديث كسائر الخيل:** الإقرار بالحكم	**لا تعلق طرفك إلا بسوادك:** النصح **ولا تجري مؤامرتك إلا مع فؤادك:** النصح، الأمر **ولا توصل إلى سمعك إلا همسك ومناجاتك:** النصح، الأمر		**تجمع الندوة كبارهم:** التفسير والإحالة **فلا يتواصون بالصبر:** الإجابة والتفسير والتمثيل	
فإذا أنشأ يأكل لحم أخيه: التشخيص، التقويم **ويلغ في دمه الحرام ولوغ الكلب:** التشخيص، التقويم **ويصوّب ويصعّد في تمزيق فروته:** التقويم، التشخيص	**ولا تفطن لعيب أحد سوى عيبك:** الأمر، النصح **ولا يهمك إلى دنس ردنيك وجيبك:** أمر ونصح		**بل يتناصّون على الصدر:** التوكيد **ولا يتشاورون في حسم الفساد:** التوكيد وإيضاح الأمر المنشود	
ويقوم ويقعد في قرع مُرُوَّتِهِ: التقويم والتشخيص **ويخلط ذلك باستهزاء متدافع:** التقويم والتشخيص			**كما يتساورون على قسم الوساد:** التوكيد **إن آنسوك حمدت الوحشة:** التمثيل والتفسير[1]	

[1]– المدونة، ص 14.

مثال 06:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
			وإن جالسوك وددت الوحدة: التفسير والتمثيل **كما يجب فيه ترديده:** الإحالة والإنتقال من مستوى إلى مستوى	
			مجددا ذكر الله الذي لا ينبغي إلا تجديده: التوكيد ووجوب الأخذ بالفعل **عاكفا على ما يدعوك إلى الخير ويدنيك:** الترحيب، نقل الخطاب والتمثيل	
			ويلفتك عن الشر ويثنيك : نقل الخطاب والتمثيل **لا يدفع في صدره من حياء دافع:** التوكيد والإجابة	
			ولا يزعه من دين حق وازع: الإجابة، التأكيد **ولا ينزعه من عرق صدق نازع:** الإجابة، التأكيد[1]	

مثال 07:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
			لم يملك حينئذ عنانه: الإجابة **ما يريد فكلاكما والشيطان:** نقل الخطاب	
			بل إستبقتما إلى غاية الغواية: التوكيد **وترديتما في هوة الردى:** التوكيد	
			أن تنأى عن الإنس: الإجابة والتوكيد	

مثال 08:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
فليكن عملك نقيا ناصعا: الوصف **ثم يخيس آخر الأمر بأمله:** التقويم والوصف	**فإئت به مقدسا:** النصح - الأمر **وحاذر أن:** الأمر - التحذير **إغسل درن الرياء:** الأمر - النصح	**ترجو:** التمني	**لا تكن العامل الأخرق:** النفي الذي يأمل بعمله حوز الثواب: نقل الخطاب	
	إحترس أن يصيبه التكلف بنفحاته: النصح والتحذير		**تقعد مما** :الرد والإعتراض **فلن يقبل منك:** الإعتراض	

[1]– المدونة، ص 14.

	أصفه: النصح **وإخف دعائه**: النصح والأمر		**فقد أمرك بالإخفاء**: الإجابة	
	وتَرَقَبْ به جنح الليل: النصح **وأسدف وأرخي قناعه** **وأغدق**: النصح والأمر **وإستبدل حينئذ تهجدك**: النصح / الأمر		**إذا أسدل جناحه**: الإجابة - التوكيد **وضرب السبات على الآذان**: الإجابة والتوكيد **ولفَّ صرعاه في الأكفان**: الإجابة والتوكيد	
	وإعقد عينيك: الأمر / النصح وإخشع **لمن**: الأمر - النصح **وإخش**: الأمر - النصح		**وبقيت كأنك وحدك**: الإجابة والتفسير **تخشع له الملائكة**: الإجابة **الذي تخشى السموات سطوته**: الإجابة[1]	

مثال 09:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
وإرحم أجفانك: النصح **إبك على ما حملت**: النصح - الأمر **وتضرع إلى ربك**: نصح - أمر **وإستجر عائذا به**: وإجأر			**ما خلا القعيدين من قعيد**: الإجابة - التفسير - نقل الخطاب. **لا تشعر حركة ولا تسمع ركزا**: التفسير ونقل الخطاب	
			أن يتشبث النعاس بملاقيها: الإجابة **وما رحلت مع أشياع الجهل**: الإجابة **تنزل بتصوره**: الإجابة - نقل الخطاب - التفسير[2]	

مثال 10:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
يسلب بحسنه العاقل فطنته: التشخيص والوصف **وهو يزيد فطنه**: الوصف -	**إجعل كتاب الله نجيّك**: النصح- الأمر **فحادث لسانك بدراسته**: الأمر- النصح	**إن شئت: الضمان فلا يخلُونّ ساعة من مناجاتك**: الضمان **من إعتصم بمعاقله**: الضمان	**أن يخاصرك في مناجاته**: التوكيد - نقل الخطاب **به أحيا رسوم الشرع**: التوكيد - الإجابة	**ودعوهم إلى أعمال الأبرار**: الترحيب **تباركت أسماؤه**: المباركة

[1]– المدونة، ص 24.

[2]– المدونة، ص 25.

التشخيص **وإفتتانه الذي يكاد يفتن:** الوصف - التشخيص	**ومرنه على تلاوته:** النصح - الأمر		**وَجَلّى ظلمات الشرك:** التوكيد - الإجابة	
وهو يميط عنه الفتنة: الوصف - التشخيص **ولا أخبثوا:** التقويم - الوصف	**وتعمّدْه بمتلوه:** النصح - الأمر **واقرأه مرتلا:** النصح - الأمر **وإجتنب:** الأمر - النصح		**جبل يعصم:** الإجابة - التفسير **ويقصم ظهر العادل عنه:** الإجابة - التوكيد **بحر لُجِّي لا تزل تزخر لججهً:** الإجابة،التوكيد،ونقل الخطاب	
	أن لا تقرأ: النهي **وأكرم نجيّك:** النصح - الأمر **فلا تمس له إلا على طهرك:** النصح - النهي		**يروّع إلتطامه:** الإحالة - التفسير **لا يبلغ عَابِرٌ عَبَرَهُ:** التفسير-نقل الخطاب. **ما غالى له الأكاسرة:** التفسير - التمثيل	
	وإحتط أن لا تفرق: الأمر _ النهي _ النصح **وإحفظ فيه حق من إليه:** الأمر		**وما رصّعوا به تيجانهم:** التفسير - التمثيل. **إن عدّت عجائب البحر:** نقل الخطاب - الإجابة **لم تعد عجائبه:** التفسير - الإجابة[1]	

مثال 11:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
			وإن حُدِّثْ غرائب الأسمار: التمثيل **لم تَحُدَّ غرائبه:** الإجابة - التفسير **كلما ذهبت بفكرك إلى بلاغته:** الإجابة - التفسير	
			التي حصرت دونها الببغاء: الإجابة - نقل الخطاب **حتى سخرت من فصاحتهم الببغاء:**التمثيل - التفسير - نقل الخطاب	

[1]– المدونة، ص 31.

			ونظرت في سلامة سبكه المستغرب: الإجابة - التفسير **وما تناصر فيه من فروع البيان:** التفسير - التمثيل **إرتدّ فهمك:** الإجابة - التمثيل	
			الذي يكاد: التمثيل **لم يمش إليك وعدك:** النفي **وقد شفع هذا بذاك:** التفسير - نقل الخطاب - الإجابة **لكسب ما يزلف:** الإجابة - التفسير[1]	

مثال 12:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
			ما يتلف مع إقتصاص ما أجرى إليه عصاة القرون: التمثيل - التفسير **وما جرى عليهم من فظائع الشؤون:** التفسير	
			وما ركب أعداء الله من أوليائه: النفي **ردعوهم إلى المناكير:** الإعتراض **فقطعوهم بالمناشير:** الإعتراض	
			فعرضوهم على السيف: التفسير - نقل الخطاب **وحرَّقوهم بالنار:** التفسير - نقل الخطاب **ثم إصطبروا لوجه الله:** الإجابة - نقل الخطاب	
			وثبتوا وما إستكانوا لهم: الإجابة - التفسير - نقل الخطاب **حتى إشتروا النعيم:** التوكيد - الإجابة - نقل الخطاب[2]	

مثال 13:

الحكميات	التنفيذيات	الوعديات	العرضيات	السلوكيات
			و ظنوا عليه أنفسهم: التفسير **ليريك سوء منقلب:** الإجابة	
			ويُبَصِّرُكَ حسن عواقب المعتدين: التفسير – الإجابة **حتى ترق:** الإلتزام	

[1]– المدونة، ص 31.

[2]– المدونة، ص 32.

			حتى لا تطوع لغيره: الإلتزام **ما ساعدتك عليه المكنة:** التفسير – الإحالة – ونقل الخطاب **وترفع له بمخارج الحروف:** الإجابة – الإلتزام	
			ما لا يؤمن في الهذ والهذرمة: الإجابة **يستوجب غاية الإكرام:** التفسير – الإجابة **وعظيم يستدعي قصار الإعظام:** الإجابة – التمثيل **بين أن يكون مكشوفا أو مستورا:** الإجابة – التفسير[1]	

ب– تصنيف جون سيرل

مثال 01:

الإخباريات	التصريحيات	الطلبيات
وإعتصم بالصروح الممردة: قدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة في الواقع بغية إحراز تصديق المتلقي. **وتجبّر في القصور المجندة:** الإطباق على هوية الفعل لضبط صحة صلته وتوكيده **ثم خرج من الدنيا راغما:** التوكيد		**واجتهد أن:** النصح - الأمر
أن يساعدوك بالقلوب والعيون: قصد الصبر على موجب الأسى عن منازل هادمات باليات. **تقول أين أيامنا بحزوى:** إستيراد لماض وَلَّى ولم يعد بحسرة. **حسبك ما أوضعت من مطايا الجهل في سبيل الهوى:** قصد التوكيد على اتباع ما لا ينفع من شقاء النعيم بالدنيا. **ما لك لا تحل عنها أحمالك:** الطلب[2]		

مثال 02:

الإخباريات	التصريحيات	الطلبيات
ولا تحط عن ظهورها أثقالك: الطلب **تطر إلى مساربها:** التوكيد. **فطالما أرحتها على مضاجع الشيطان:** التحذير من ويلات سبل الشيطان اللعين	**وإن فوجئت بمثافنة بعضهم:** التحذير **إن لم تشرّدها:** التحذير وزجر النفس **تجدها لقى:** التحذير	

[1]– المدونة، ص 32.

[2]– المدونة، ص ص 9 – 32– 15.

وقى الله شرها: الشكر **كان لا يكيس في تنقية عمله:** النقد **ما توجه إليه مدنسا:** النقد **أقصد به وجه:** الإجابة[1]		

لقد إتسمت الأفعال الكلامية في ثنايا المقامات بألفاظ الخبر والإنشاء وألفاظ العقود والمعاهدات التي أُرِيدَ بها الإنجاز الفعلي بمجرد النطق بها بصفة تقريرية وأدائية والوقوف على إستنطاقها لإدراك نفاذ الأعمال اللغوية الإجتماعية إلى فعل القول وفعل الإسناد وفعل التأثير ففعل الإنجاز.

III-2. الإشاريات:

1. الإشاريات الشخصية

لقد تعددت الإشاريات الشخصية في النماذج المنتقاة من المقامات الزمخشرية في الكم والنوع والظروف السياقية وأبنية إعرابها التي قيلت فيها، بين كاف المخاطبة وضمائر الغائب والغائب المعلوم وياء المنادى المتكررة التي لطالما إستهل بها الزمخشري مقدمة مقاماته "يا أبا القاسم" فهو عامل نحوي منادى مضاف موجه لضمير المخاطب "أنت" إشارة للشخص المقصود والمحدد بالنداء، فهو المبحث التداولي أكثر حضورا وهيمنته على غيره من أقسام الإشاريات المقابلة له.

توصلت بعد قراءة المقامات أنها تضمنت إشاريات كثيرة يمكن حصرها في:

أ- كاف المخاطبة "الخطاب":

- "دعتك إلى نفسك - نهتك - إياك - على نفسك - ينفعك - رقيتك"[2] للمفرد المذكر من ضمائر التخاطب وكما تتضمن المفرد المتكلم وضمير المخاطب "أنت" المستتر وجوبا قد حل محله.

[1]- المدونة، ص ص ص 24- 14-15.

[2]- المدونة، ص 3.

– "أدر عينيك – شبابك – أحبابك – عليك – قبلك – تأوهك – واستعبارك–يساعدوك–يساعفوك"[1] للفرد المراد توصيل مساق الكلام أو توجيه الخطاب له، فقد برزت الكاف الخطابية تحت مؤشر الضمير "أنت" مرات عدة في الإطار الباعث على الإذعان في الإطار التبليغي.

– "أزل نفسك ولا تعلق طرفك إلا بسوادك ولا تجري مؤامراتك إلا مع فؤادك، ولا توصل إلى سمعك إلا همسك ومناجاتك، إلا جؤارك ومناداتك، ولا تتفطن لعيب أحد سوى عيبك، ولا يهمك إلا دنس ردنيك وجيبك"[2] كاف الخطاب للمفرد المذكر البارزة متصلة مبنية على الفتح في محل جر مضاف إليه "وأنت" الضمير المستتر المنفصل مؤكدا للضمير الظاهر "الكاف".

"إن آنسوك – إن جالسوك – خلواتك – إنفرادك – أخرابك – أورادك – فكرك – فكرك – وما يعنيك – عاكفا – ما يدعوك – ويدنيك – يلفتك – يثنيك – أخذك – فضرب بينك – ورماك بوجهك – وصفك – نسبك – مسجلا عليك – من نفسك – نفسك – فأغنمك"[3] كافا مبنية على الفتح مع المذكر "حرف خطاب" في محل نصب مفعول به، ومبنية على الكسر في محل جر مضاف إليه "ضميرا"

"فليكن عملك – وجيبك – عملك للملك القدوس – فلن يقبل منك – أمرك – كأنك وحدك – تهجدك – هجودك – عينيك – سجودك – أجفانك – تأملك – أوزارك – وخطاياك – مطاياك – إلى ربك[4] – نجيّك – إنك – أن يخاصرك – في مناجاتك – مناجاتك – بفكرك – فهمك – إليك – وتثبيطك – ليريك – لسانك – نجيّك– قراءتك– مواعظك–عبرك– تفكّرك–

[1]– المدونة، ص 9.

[2]– المدونة، ص 14.

[3]– المدونة، ص ص 14–15.

[4]– المدونة، ص ص 24 – 25.

تبصّرك- بصيرتك- نظرك- طهرك [1]" فالضمير الإشاري "الكاف" ورد كاف الخطاب المتصل مبنيا على الفتح في محل جر مضاف إليه مرتبطا بالأسماء والأفعال التامة وكاف الضمير المتصل مبنيا على الكسر في محل جر مضاف إليه وفي محل جر بحرف الجر، ووردت متصلة مع حروف التشبيه "كأن" وفي محل نصب إسم إن.

ب- ضمائر الغائب: "هم – هو – الهاء – هي – هذه"

"أنّى وجّهتها – صاحبه – فسمها – بصرها – نادها – ناغها – ألجمها – دينها – حاسبها – عاتبها – هفوا – إنتعشوا – إنكمشوا – بغمارهم – غبارهم[2] – ممن تعزز بالبروج المشيدة واعتصم بالصروح الممردة، لم ينجه – لمذلة الخروج – تعززه بالبروج – ولم ينقذه – إعتصامه بالصروح – ولم يخلصه – تَجَبُّرُهُ – مقترحا عليهم[3] – وافتن في الأحاديث – بين يدي إفتتانه – وراء إستنانه – ولا يزعه من دين حقٌّ وازع – ولا ينزعه – يأكل لحم أخيه – ويلغ في دمه – في قرع مُرُوَّتِهِ – لم يملك حينئذ كنانه – ولم يثبط عن إستهزائه – وإن أعطيته – والثاني رسيله – فيا لها محنة – ما أضرها – ويا لها فتنة وقى الله شرها – الأنس مشتق من الإنس – ثيابها مُلْسٌ ولكنها – نفسك فأغنمها وشرد بها – عنهم – إن لم تشردها تجدها"[4] ضمائر متصلة ومنفصلة ومستترة وجوبا وردت مبنية في محل رفع فاعل.

- ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة.
- ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ،
- أما "هي" ضمير منفصل مبني في محل رفع خبر
- و"الهاء" حرف تنبيه إسم فعل أمر مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

---

[1]- المدونة، ص 31-32.

[2]- المدونة، ص 3.

[3]- المدونة، ص 9.

[4]- المدونة، ص 14-15.

"إعزلها – فأنزلها – هذه الأيام – فإنهم طلائع الشرور – لقاهم لقاء وحوارهم غوار – ونقالهم نقار – ووفاقهم نفاق – ألسنتهم تجمع الندوة، كبارهم فلا يتواصون بالصبر – يتناصّون – يتساورون – لا يتشاورون – ترديده – إلا تجديده – تطِرْ – إن فوجئت بمثافنة بعضهم – ببعضهم – فيه بأسرار – أن يساعدوك – يساعفوك – عنها – ظهورها – حبالها – غواربها' – وجوهها – إلى مساربها – أرحتها – وأحمضتها – حان لها أن تسأم"[1].

1. ضمائر الغائب "الهاء" المعلومة للتأنيث وضمير "هم" غائبا معلوما، كما سجلنا حضور ضمير الغائب المعلوم "هم" وقد أفاد التفكير والتدبر في موضع واحد ومن عوض عمل الإشارة لكلمة ما.

2. هذه: إسم إشاري مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ

3. ضمير "عنها" متصل أريد به الإبانة على الضمير "هي" العائدة على الدنيا، فقد إنساقت إلى زمن معين لإتمام المعنى كاملا خلال حركاتها وأفعالها وتواصلها مع المصائر الآدمية وكيف تغدو بين ظلال الحق وظلال البطلان، "إحالات نصية بالقرائن اللغوية من المنوال النحوي المنعكسة على الغائب" وهاء ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر.

"أتقاها – ما توجه إليه مدنسا – بعمله – بأمله – فإئت به – صفحاته – فواضله – نفحاته – صفحاته – يصيبه – أصفه – دعاءه – تَرَقَّبْ به – جناحه – صرعاه – سمواته – سطواته – بملاقيها – خليها – مآقيها – بتصوره – وجؤاره – جواره – مناجاته – منها[2] – عجائبه – غرائبه – بلاغته – دونها – فصاحتهم – مبكه – وأصوله – تعريفه – تنكيره –

[1]– المدونة، ص 9.

[2]– المدونة، ص 24.

تقديمه – تأخيره – وعده – إليه – أولياءه – بدراسته – بمعناها – أسماؤه– فطنته– تعريضه– مباديه– وصوله– فصوله– مدراره– أصوله– أسلوبه– تلويحه– مقاطعه. [1]"

– ضمائر متصلة مبنية على الكسر في محل جر مضاف إليه.

– ضمائر "منفصلة – متصلة" مبنية على الضم في محل رفع فاعل.

– ضمائر منفصلة مبنية في محل رفع خبر.

– ضمائر متصلة مبنية في محل جر باسم الجر.

ج– ضميري المخاطب: أنت – أنتما:

"أقبل – تحاسب – تعاتب – تنجو – تفوز – ترجو – أزل – وإئت – لذ – لا تحلق – حمدت – وددت – فوجئت – ما كنت – مترددا – تقول – أوضعت – سيرت – لا تحل – لا تحط – ألق – إضرب – إدأب"[2]

– ضمير مستتر وجوبا "أنت" وقع معمولا لأفعال ماضية مبدوءة بتاء دالة على من قام بالفعل –المخاطب– وفي أسماء لأفعال الأمر منتهية بتاء تقديرية عائدة على المخاطب "الفاعل".

" تَبَتَّلْ – عد – أدر – إيك – دع – قف – لا تستوقف – مقترحا – لم تقبل – تنأى – شرد – تجدها".[3]

– ضمير مستتر وجوبا منفصل مبني على السكون في محل إسم فعل للأمر.

[1]– المدونة، ص ض 31–32.

[2]– المدونة، ص 3.

[3]– المدونة، ص ص 14 – 15.

– ضمير منفصل مستتر وجوبا معمول لفعل مضارع مبدوء بالتاء الدالة على المخاطب المفرد.

"إجعل – شئت – عدت – ذهبت – نظرت – حادث – أكرم – لا تكن – فإئت – حاذر – إغسل – تَرَقَّبْ – بقيت – إستبدل – إعقد – إخشع – إخش – وإرحم – إبك"[1].

– ضمير منفصل مستتر وجوبا مبني في محل إسم فعل مسند للمفرد المخاطب ومقدر حينئذ بأنت.

– ضمير منفصل مستتر وجوبا معمول لفعل مضارع مبدوء بتاء دالة على مخاطب مفرد.

– ضمير منفصل مستتر وجوبا منته بتاء تقديرية عائدة على المخاطب المفرد.

"فكلاكما – قد جرى أحدكما"[2]

– ضمير منفصل مستتر وجوبا مبني في محل رفع مبتدأ لأنه ملحق بمثنى وهو مضاف؛ الكاف مضاف إليه ضمير متصل ما: لتثنية الضمير.

– والثاني معطوف مرفوع بالألف لأنه ملحق بالمثنى وكما ضمير متصل في محل رفع جر مضاف إليه.

2. الإشاريات المكانية:

"دعتك إلى نفسها – أنّى "أين" – ملتف في أطمار الذل الأتعس – أقبل على نفسك – بعيدا – فضرب بينك وبين ما كنت فيه بأسداد – في سبل الله[3] – على غواربها – في

[1]– المدونة، ص 9.

[2]– المدونة، ص 24.

[3]– المدونة، ص ص 14–15.

وجوهها – تطر – إلى مساربها[1] – الركب في أوطان سلمى – للفرس بين الظفر والضرس[2] – لا تمر على جملة – وراء ضرائب الشرك – يخيس آخر الأمر – جواره[3]".

1. لم يستغن الزمخشري على الظروف الزمكانية في صلب مقاماته، فقد عمد لتوظيفها للإفادة بوقوع الأحداث فيها للإفضاء لمعناها إلى ما يليه على سبيل الإشاريات واستقرارها داخل تلك الظروف وموضعها من صلاتها وصفاتها بها، فتوزعت بين: ظرف معرب مختص يحمل في ذاته دلالة الظرفية المكانية.

2. ظرف للمكان واسم استفهام بمعنى "أين" في "أنّى" لكن وردت اسم شرط يجزم فعلين مضارعين .

3. ظرفية مكانية مطلقة حملت دلالة الإطلاق.
4. الظرفية المكانية.
5. الظرفية المكانية المطلقة المتصرفة.

3. الإشاريات الزمانية:

"ببعض الكهوف والغيران[4] – قاتل الله بني هذه الأيام – ورماك بأمور من تلك الأول بأضداد – أين أيامنا – قبلك[5] – وافتن في الأحاديث كحاطب الليل – ساعة – الليل – حينئذ – ليالي الشك[6] – إذ فوجئت بمثاقفة بعضهم[7]".

[1]– المدونة، ص 9
[2]– المدونة، ص15.
[3]– المدونة، ص 31.
[4]– المدونة، ص14.
[5]– المدونة، ص 9
[6]– المدونة، ص 31.
[7]– المدونة، ص 24.

- الظرفية الزمانية.

- الظرفية الزمانية المتصرفة: ظرف زمان متصرف استعمل وعاءا تركيبيا للحدث.

- الظرفية الزمنية البعضية: لفظ بعضي "ببعض الكهوف" إذ جوجئت بمثافنة بعضهم.

- ظرفية زمانية تحيل إلى زمن تعرفه الأنا "الزمخشري" ويراد به للتمثيل ليلتبس بإدراك المخاطب ليشكل مركز الإشارة الزمانية من المكان "قبلك".

بما في ذلك مراتب التعبيرات التي أحالتنا على مكونات السياق التواصلي والتي دارت رحاها نحو المتكلم المتلقي –الزمان– المكان وتحديد دلالتها لإزالة اللبس الناتج عن تعدد مرجعية الضمير وتوضيح المستلزم البلاغي لتحول الضمائر وأحيانا إستبدال ضمير الجمع بالمفرد.

III–3. المقصدية

وكما هو سابق الذكر في الجانب النظري، وما ألفيناه في المشهد التطبيقي التداولي، فنصوص الزمخشري موئل تقاطعات بين المرسل والبنيات النصية وملتقى الخطاب، إذ أن معمار المقصدية، وهو الغرض الذي يبتغي تبليغه، فقد سهلت الأغراض البلاغية في إدراج وإكتناه الطرف الثاني "المتلقي المشاء" لمحاورته والإستئثار بإهتمامه عما ينوي معرفته داخل هاته النصوص، وهو بدوره من يثبت دعواها "الطرف الأول" ليتوصل لقصديتها.

المقصدية في الأنموذج الأول:

- **"يا أبا القاسم إن خصال الخير كتفاح لبنان، كيف ما قلّبتها دعتك إلى نفسك، وإن خصال الشر كحسك السعدان أنّى وَجَّهتها نهتك عن نفسها"**،[1] مقصدية إخبارية: تخللها بعض الإنشاء الطلبي "النداء" مبينا على فائدة محمولة حاصلة ومتحققة فتعاضد الخبر

[1]– أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، المقامات، ص 3.

والإنشاء أفاد تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله فجاء متصورا بين طرفين مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر، فيحسن تقويته بمؤكداته "إن" وكاف التشبيه، وإسمي الشرط للعاقل للمفعول به المقدم، وفاعله الضمير المستتر "أنت" جملة لجواب الشرط.

- **"فعليك بالخير إن أردت الرفول في مطارف العز الأقعس وإياك والشر فإن صاحبه ملتف في أطمار الأذل الأتعس".**[1] مقصدية تواصلية لإفادة المخاطب نفسه للحكم الذي يعلمه في حد ذاته، "تفاعل تواصلي متبادل داخل شخص واحد" من القرائن التي إستأنس بها الزمخشري بحيث إقتصر التركيب الكلامي على قدر الحاجة المناسبة لحاله.

- **أقبل على نفسك فسمها النظر في العواقب (...) وخالف عن بنيات طرق العادين الضالين:**[2] مقصدية مستقبلية: في صور وأساليب إنشائية "الأمر والحث على الفعل" لأنه في ذلك إغراء للمخاطب والإيراد منه الإستجابة وقبول الأمر.

- **واعلم أن العامل على الضلال، صل إصلال، لسعته لا ينفعك منها الرقي، إلا إذا كانت رقيك التقى:**[3] مقصدية إخبارية / إنشائية / مستقبلية: إشارة لشدة إستحضار الزمخشري لذاته في ذهنه وطبع صفة الضلال على من يبعده مكانة ووازعا وتنديد بحصول صورة الممكن القريب وإشعارا بأنه مما يتلقى بالمسارعة إلى الترفع عنه.

- **سقى الله أصداء قوم هفوا ثم إنتعشوا وجَدُّوا فيما أجدى عليهم وإنكمشوا:** [4]

أ- **مقصدية إخبارية:** جاء كمجاز مرسل وقع في كلمة "سقى الله قوما أصداءً، واجههم، عارضهم، جابههم، فصدعهم بغرض الإيجاز في التعبير والمبالغة، فأصرفها في فكرة منمقة ليناجي بها قلبه ويراجع عقله كما حمل التعبير مزية "التفاضل في الفصاحة".

---

[1]- المصدر نفسه، ص 3.

[2]- المدونة، ص 3.

[3]- المدونة، ص 3

[4]- المدونة، ص 3.

ب- مقصدية مركبة: تعاضد القصد ونية الفعل الممارس في آن واحد عن نية القناعة وتفسير المبهم من الكلام: العائدية الحرة لوحدات معجمية: هفوا - إنتعشوا - جَدُّوا - إنكمشو، بين الضمير هم والعائد عليه القوم.

- **ويحك إخلط نفسك بغمارهم، واحملها على شق غبارهم، فعسيت بفضل الله تنجو وتفوز ببعض ما ترجو:**[1] مقصدية مستقبلية / إنشائية: تفاؤل بمستقبل زاهر "الوصول إلى الأشياء الخارجية عن طريق إعمال الفكر الداخلي الحاصل ما بين المفاهيم والإنطباعات اللغوية- إنعكاس مواقف الذات وأفعالها - وحالاتها العقلية: فهو ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط غير الجازم".

أما "ويحك اخلط نفسك بغمارهم، وإحملها على شق غبارهم، فعسيت بفضل الله تنجو وتفوز ببعض ما ترجو"[2] منصوب بجوابه.

الأنموذج الثاني:

"يا أبا القاسم تَبَتَّلْ إلى الله عز وجل (...) الصلاح"[3] مقصدية تواصلية: وقوف العبد على مبتغى التَبَتُّلِ وهو الإنقطاع إلى الله تعالى مع إخلاص العبادة "الإستسلام والخشوع والخضوع إلى الله، فهي عبارة عن إتصال بين العبد وربه "النداء - التشويق"

- **لتعلق أصلحها، لا في وجوه الملاح لتعشق أصبحها:**[4] مقصدية إخبارية: الأخذ بما يليق من محاسن العبادات وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات: "الإلتماس - التحذير"

---

[1]- المدونة، ص 3

[2]- المدونة، ص 3.

[3]- المدونة، ص 9.

[4]- المدونة، ص 9.

– **وابك على ما مضى (...) من قبلك:**[1] مقصدية تواصلية: أي الحزن على فوات الطاعة زمان شبابه اليافع مع مجاهدة النفس والإستعانة بالله عز وجل "الطلب: الأمر": صرف الوقت إلى العبادة أو غيرها من الأعمال الصالحة.

– **ممن تعزز بالبروج المشيدة (...) في القصور:**[2] مقصدية إخبارية: فالله يعطي زينة الدنيا، فالذي يتبع حظوظ نفسه تنسيه الآخرة والغفلة عن دوام الحال من المحال، وإيثار حياته في التنافس والتصارع على النفوذ وطغيان الماديات فيها والتقصير بالإنشغال بالله وما يقرب به إلى الإعتصام بحبل الله "الزجر – التَّحيّر والتذكر".

– **قف على أطلالها (...) سعدى":**[3] مقصدية تواصلية أي لا تستوقف تأملك على بقايا الديار الخربة وفيها إيماء لحقيقة مجسدة لزمن ملموس ممزوج بمعادل لفظي بفترة الجاهلية وفترة ما بعد الجاهلية "منزل الإستعداد والزينة ومنزل الإستبطاء والإستعباد".

– **مقترحا عليهم (...) الكواكب:**[4] مقصدية إخبارية: فصغائر الأمور تجتمع على العبد حتى تهلكه، فالصغيرة تضعف الإيمان وضعف الإيمان سبب في الوقوع في الشهوات، لأنه من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه "التهويل".

– **تقول أين أيامنا (...) أثقالك:**[5] مقصدية تواصلية / إخبارية: فحاجة المسلم اليوم بعث الروح الأخوية الإيمانية الضائعة وإحياء عقيدة الولاء والبراء التي لم تدانيها حاجة الجيل الأول. "التحسر / التعظيم".

[1]– المدونة، ص 9.

[2]– المدونة، ص 9.

[3]– المدونة، ص 9.

[4]– المدونة، ص 9.

[5]– المدونة، ص 9.

- **ألق حبالها (...) أحمضها:**[1] مقصدية تواصلية: ترفع عن كل ما يهيل أرزاء سواد الأيام الخوالي والإقبال على الطاعات الرّبانية والثبات عليها فإنتهز عمرك وسائر وقتك بالقرب الفرضية والنفلية. "الأمر / النصح"

- **فقد حان لها أن تسأم من ذلة العصيان:**[2] مقصدية إخبارية: آن للنفس أن تخلع عما كانت تتشبث به من قسوة العصيان. "التقرير"

الأنموذج الثالث:

"يا أبا القاسم أكرم النفوس أتقاها، وخير الأعمال أتقاها":[3] مقصدية إخبارية: أفاد في الجملة حمل المخاطب على جواب النداء "الإقبال" عن صميم القلب وخلوص الإعتقاد بقول المخاطب للقوة الإنجازية "الكلامية: الإتساق والإنسجام، الخارجية مقتضى السياق وأحواله"، والنفسية".

- **فليكن عملك نقيا ناصعا (...) يأمله:**[4] مقصدية متأرجحة: آنية / مستقبلية، طرزت حلية الكلام بالظواهر الإنشائية "الطلب - الرجاء" فهما أسلوبان لغويان إستدعيا مطلوبا "حاصل وقت الطلب" أدى به غرضا خطابيا خاصا ووظيفة تواصلية معينة.

- **عملك للملك القدوس فإئت به مقدسا (...) سائر المقاصد:**[5] مقصدية تواصلية: توفر على الطلبية / الأمرية لإشتغال أحوال متعلقات الفعل في صيغة الإلتماس والنصح والإرشاد وكأن الخطاب ينتظر من القارئ تحصيل الدلالة وفهم قوة العبارة والوصول إلى سكون النفس وإطمئنانها إلى حسن الفهم وتصور الغرض للمخاطب.

---

[1]- المدونة، ص 9.

[2]- المدونة، ص 9.

[3]- المدونة، ص 14.

[4]- المدونة، ص 14.

[5]- المدونة، ص 14.

– **تقعد مما ترجو من فواضله بالمراصد:**[1] مقصدية آنية: الوقوف على إقناع المخاطب ببناء الأمر وإختزال ردة فعله "وقوع الفعل في الحاضر" والتنبؤ بثمرة صنيعه مستقبلا.

– **أصفه فلن يقبل منك إلا الأصفى (...) وأغدق:**[2] مقصدية إخبارية: جعل الخطاب مقنعا ومستميلا إلى التبرير والتعليل من خلال الضمائر في فضاء الكلام وكذا الإشارات التعبيرية.

– **وضرب السبات على الآذان (...) همسا:**[3] المقصدية الإخبارية: ربط المقدمات بالنتائج من خلال مقام الكلم "نفحات التهجد وفيوضاته التعبّدية".

– **واستبدل حينئذ تهجدك مع هجودك (...) وإجأر:**[4] المقصدية التواصلية / المركبة: تعدد المقاصد ونيات الملفوظات لأجل تشريك الفعل والقول داخل سياق الموقف "واقعي لغوي – ذهني" الذي يغطي جسدها نسيج الحدث الأدائي" لخدمة الهدف المنشود من كلام المخاطب.

– **فرب عبد تنزل بتضوره وجؤاره في الحرم الآمن من كريم جواره:**[5] المقصدية المركبة: التدليل على مضي من اللقاء ما تتعلق به إمتطاء المنزلة والمرتبة، فجاءت جوابا لفعل مضارع "رُبَّ" بمعنى التكثير لما هو حاضر.

[1]– المدونة، ص 14.

[2]– المدونة، ص 14.

[3]– المدونة، ص 15.

[4]– المدونة، ص 15.

[5]– المدونة، ص 15.

الأنموذج الرابع:

"يا أبا القاسم أزِل نفسك (...) والجيران":[1] مقصدية تواصلية: فجاز إستحباب العزلة إذا فسد الزمان أو الخوف من فتنة الدين أو وقوع في حرام وشبهات ونحوها، قال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم "يوشِكُ أن يَكونَ خيرُ مالِ المسلِمِ غنمًا يتبعُ بِها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القطرِ يفرُّ بدينِهِ منَ الفتنِ"[2] متق شرور غيره مخافة أن يدركه الشر "الأمر والنداء / النصح والتناصح"

– **حيث لا تعلق طرفك إلا بسوادك (...) وجيبك"**[3] مقصدية إخبارية: فمتى وجدت جماعة مستقيمة على الحق إلزمها الإنضمام إليها، وتكثير سوادها وتعاون معها على الحق، والإنزواء والإنقطاع عن التجهير بما يسر فؤادك، وتفقد عيوبك دون التيقظ لعيوب الغير ولا تغتب أحدا بدنسه وتعيره إلا أن تستشفي نفسك بذلك "النفي، الإنتهاء عن شيء".

– **قاتل الله بني هذه الأيام:**[4] مقصدية مركبة: أن يرمي بكلامه أن الله عزيز ذو إنتقام "يقصم ظهور العتاة وينكل بالجناة ويشدد العقاب على الطغاة "التهديد".

– **فإنهم طلائع الشرور (...) الوساد:**[5] مقصدية إخبارية: فإشتدوا بالمروق والفسوق والصد عن الآداب والأخلاق والأعراف الحميدة والخوض في أعراض الغير والتشهير بها بلا مسوغ شرعي وإنفض معيار التناصح وتفريج الكرب عن غيرهم بل خنقوا وقسوا على

[1]– المدونة، ص 24.

[2]– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 1423 هـ/2002م، الباب 15، ص 812.

[3]– المدونة، ص 24.

[4]– المدونة، ص 24.

[5]– المدونة، ص 24.

غيرهم وزادوا بكلامهم حتى أضحوا عللا على صدورهم ولا يتواصون بالحق ولا بالرحمة بل يتعاونون إلا على الآثام والعدوان. "الذم والتوبيخ"

- **إن آنسوك حمدت الوحشة (...) نازعٍ:**[1] مقصدية إخبارية: فيا حبذا لو كان العبد في خلوة مع نفسه خصوصا إن كانت النفس محاسبا لها وتعلمها أصول العقيدة وتحاول بالنفع والتقوى الرّبانية وتخطط لمستقبلي الدنيا والآخرة بعيدا عن أن تكون أمرا منها لك بالسوء وتوخي أرزائهما، فإن النفس لأمارة بالسوء"النصح – الترهيب"

- **فإذا أنشأ يأكل لحم أخيه (...) وقى الله شرها:**[2] مقصدية إخبارية: وهذا ما يدفع بالكثير إلى الإلحاق بالأذية بالآخرين دون مبرر، فهم لا يشعرون بآلام الآخرين أو كونهم يستمتعون بذلك سواء كان لفظي أو فعلي وزرع بذور الحقد عليهم فآذية المؤمنين وإحداث مافيه إضرار لهم سبب عظيم لسخط المولى جل وعلا ومقته وعذابه وغضبه، فإن سكتت عن غوائله وشرورها، فشبه كليهما بالشيطان فقد تتساقان لطريق الضلال "الإلتماس / الدعاء / التسوية / الإهانة"

- **الإنس (...) طلس:**[3] مقصدية إخبارية: دفع شيطان الإبليس. "التقرير

- **نفسك فأغنمها (...) الضرس:**[4] مقصدية تواصلية / إخبارية فالسلام يخرج من الهجران وما دونه مِعْوَلُ كبوات تهدد المسلم ودينه ووازعه الديني والخلقي. "النهي"

[1]– المدونة، ص 24.

[2]– المدونة، ص 24.

[3]– المدونة، ص 25.

[4]– المدونة، ص 25.

الأنموذج الخامس:

"يا أبا القاسم إجعل كتاب الله نجيّك فنعم النجي:[1] مقصدية تواصلية: تسلح بكتاب الله ففضله في سعة صدرك ولِينِ قولك وإستقامة سيرتك وبلاغة منطقك وقوة حجتك ومنجاتك في الدنيا والآخرة "النصح / التذكير / التعظيم بالأمر".

– **وإنك لحري بمناجاتك حَجِيٍّ (...) وأصوله:**[2] مقصدية إخبارية: ففضائل القرآن عديدة لا تحصى، فمعظم ما آتاه الله وحيا منه منقولا للناس بالتواتر، وأتباعه بسببه كان أكثر أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة وإستمرار معجزته الخالدة تدليل على صدق نبوته، ولقارئه حظوظ وفيرة عن تلاوته في آثار الفتح المبين في التدبر في عجائبه والتفقه فيه والتي لا تنقضي ولم يضاهي نص عربي بلاغة وإعجازا في رسوم ألفاظه وفيض معانيه فهو دستور للأمة وهداية للخلق كما أن حامله في صدره وفي محفوظه كحامل راية الإسلام وتشريع دقيق كامل الذي يفي بحاجات البشر، جزالة لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها، النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب. "التقرير / التشويق".

– **إرتدّ فهمك (...) المهتدين:**[3] مقصدية إخبارية: ذلك من لدن القصص القرآني الحق، فما وصلنا من الدعاة الذين زادونا ثباتا على الحق وإصرارا على مواجهة الباطل، عندما يطلعون على مواقف الأنبياء والمرسلين وأقوامهم. "التذكير، الترهيب".

– **فحادث لسانك (...) وأكرم نجيّك:**[4] مقصدية تواصلية: إعتبار ما كان وذلك بتحسين ترتيل القرآن بإتقان مخارج الحروف وتوظيف هذه التقنية بأسلوب دلالي مقامي يدلل على سياق ذلك الحرف ودوره اللغوي في النص القرآني وإعطائه حقه من الصفات التي تميزه كالمد والقصر والتفخيم والغنة لتقويم لسان متعلمه، وترييضه للقراءات المعتمدة المتدارسة

[1]– المدونة، ص 31.

[2]– المدونة، ص 31.

[3]– المدونة، ص 31.

[4]– المدونة، ص 32.

عن سلفنا، وإستلهام العظات، ومعرفة أحكام الشرع في العبادات والمعاملات. "الأمر، التشويق، التعظيم".

– **فإنه كريم يستوجب غاية الإكرام (...) الإعظام:**[1] مقصدية إخبارية: به آيات تحظ على الكرم لأنه منهج تربية المسلمين وصقل شريعتهم المقدسة وتوجيه طاقاتهم توجيها سليما في كافة المجالات التعبّدية والتعاملية. "التشويق والتعظيم"

– **فلا تمس له إلا على طهرك (...) تباركت أسماؤه:**[2] مقصدية تواصلية: أي لا يقربه إلا من كان طاهرا، وكن من أهله أو من هم معدودون من أهل العلم على أن تحمل آياته شعارا لك. "التشويق، التعظيم"

لقد حوت المقصدية المتضمنات القولية بتقاسيمها المحيطة المواضعات اللغوية التي تقبض على دلالة الجملة التواصلية الحاملة أثرا كلاميا من المرسل إلى المرسل إليه.

IV-4. السياق في مقامات الزمخشري:

لقد حفلت النماذج المختارة من نصوص الزمخشري المقامية بالظواهر النصية التي أسهمت في إتساق وإنسجام أنسجتها اللغوية من ترابط لفظي ودلالي التي بدورها هندست قضايا المقامات بمقدماتها ونتائجها ومنها صفة "التماسك النصي" بوحداته التركيبية والمقامية، فنقف عند التوضيح البياني لمفردة "يا أبا القاسم" تلك الكلمة التي آثر إستعمالها التعبير النثري دون غيرها من الكلمات المتأتية عند مطلع كل مقامة وقوله فيها جاء على سياق: وعظ النفس ونهيها عن الموبقات الدونية الدنيوية ويحرضها إلى أن تركن لدينها الأول، ولأنه جيء بها للإقتصار والإختصار كأنها صورة شاخصة أمام الأبصار "سياق ثنائي"، فأداة النداء توارت على سياق التخاطب الذي يعزو به لنفسه من جهة، ثم السياق

[1]– المدونة، ص 32.

[2]– المدونة، ص 32.

الذي غطى جسد نصوصه بالبراهين والمسلمات والحجج بالأدلة القطعية من وصال العقيدة التي إختلفت في قوتها وصدقها وخدمتها للهدف المنشود من مقامات الزمخشري، و للأمة المحمدية من جهة أخرى.

فالمقومات البلاغية التي تعالقت مع الغايات بصريح: "الأمر والنهي والتعظيم والتشويق والتحذير والتحسر" التي لا محيص للمتفهم أو المتلقي أن يتدارك نفسه ويسعى جاهدا لتزكية النفس ويندم على ما فرط من عمره المهجور وليبادر سريعا إلى التوبة، فليس للإنسان من الدنيا إلا عمره وعمله في مساق آجل، وهذا الهدف الأساس من الصورة التركيبية التي يراد منها بمجملها التنبيه، وقد إنحصرت الأدوات السياقية التي حققت التحول بالملفوظات إلى منجز سلوكي – تواصلي في كاف الخطاب الذي يحيل نفسه وللجماهير القارئة وعلى أمة الإسلام، فعلى سبيل المثال: "دَعَتْكَ – نهتك – إياك – عليك – لا يهمك – آنسوك – أمرك – مناجاتك – تفهمك – تبصّرك"[1] أي شق طريق نحو التورع لدين الله والثبات على إعتناقه ونصرته له، فالمتأمل نحو سياق هاته المفردات وما تحمله النصوص يلاحظ أن التشبيهات توزعت بين الجمع والمفرد هو لغايات بلاغية يراد منها تحقير هذه الدنيا مهما بلغت زينتها، فضلا عن ذلك أن الزمخشري ذكر معها ما يتعلق بها من نعيم، خشية تعلق القارئ بتفاصيل ذلك النعيم، وينصرف ذهنه وتفكيره عن المقصود من السياق المراد والغاية المرجوة منه، فمقامة الطاعة خير دليل على ذلك، فقد حوت بعض من المقاطع على ذلك "النعيم الدنيوي" في قوله: "وعليك بآثار من قبلك، ممن تعزز بالبروج المشيدة وإعتصم بالصروح الممردة، وتجبر في القصور المنجدة"[2]، ألا يصيبه المخاطب والمستجيب بالذهول في ذخائر الدنيا وإعمارها دون أن يدر أن الحياة إنقضاء آجل أو عاجل لا محالة منه.

[1]– المدونة، ص 3

[2]– المدونة، ص 9

كما تنوعت أغراض "الهاء" وأحوال توظيفها بين مقامة وأخرى، فعلى سبيل الذكر فإن الكلمات التي حملت ضمير الهاء "قلّبتها – وجّهتها – نادها – ألجمها – حاسبها – عاتبها"[1] ضمائر محورية هيمنت على جل المقامات موجهة للأعمال الصالحة وثمرة ما يجازى عليها، فقد شبه خصال الخير بتفاح لبنان اليانع الطازج وهي دلالة للإشارة على مكان منسوب يفهمه المستمع كما قد ذكر صلات الأعمال السيئة التي ربطها بموقف مقامي خارج البنية اللغوية فيما يواري الطبيعة، إذ إشتمل على رصيد لغوي خاص بها ليدل على الترك والإنتهاء عن ممارسة الفعل، وتتبعها مقامتي الطاعة والعزلة، فالتجربة الكتابية والأسلوبية لشخص الزمخشري في دواعي تنميق وتطريز مقاماته كانت الفيصل المرشد لتلاقي كلتا المقامتين في الوصف اللغوي والوقائعي، كما تجلت معان تحت لواء "الإنفراد والتفرغ لعبادة الله" "أحمضها – أعزلها – فأغنمها – لم نشردها"[2] هي نوع من الإلحاح على الفكرة وترسيخها في ذهن السامع وتحقيق نوع من الإتساق النصي "ضمير الهاء" ذات وظيفة مرجعية، تقابله هي" النفس التي بين جنبي العبد" إحالة بعدية.

كما إعتدا ضميري المخاطب الكاف والغائب المعلوم في مقامتي التهجد والفرقان ضربا من التوظيف المتصل حيث تمثلا في وجودهما لنفس الشخص ويتعدى الضمير "هم" الذي يعرض الشخصيات الضمنية المخاطبة **"بني هذه الأيام"**[3] في نفس الحيز الفعلي، وكان مرمى السياق الموقفي منها هو أن يَهُمُّهَا بشي من الإنحراف ليعيدها إلى الصراط، ويقيمها عليه، ويلزمها به، ويعاتبها إن سعت بطيئة إلى الخير أو من إغتروا بكرم الله وفضله وإستغنائهم عن طاعتهم وعبادتهم له، فآلفوا الدنيا وآنسوا بها، فعسر عليهم مفارقتها، إذ أفاد السياق ربط الخطاب بمرسله ومتلقيه وبقصده وما آلت إليه القرائن اللغوية التي تسعى لحياكة الآثار التركيبية والحقول الدلالية في كلامه كالضمائر المتصلة والمنفصلة وأسماء الإشارة

[1]– المدونة، ص 3

[2]– المدونة، ص 14–15.

[3]– المدونة، ص 14.

وحروف الجر "إلى – عن – على – في" وحروف العطف "الواو – الفاء – ثم" لتوضيح المعاني وبيان أفكار النص أو بأضدادها تتضح مدلولاتها مستخدمة على حقيقتها والإستعارات والتشبيهات وخواصها البلاغية، كالتشبيه التمثيلي في مقامة المراشد **"يا أبا القاسم إن خصال الخير كتفاح لبنان، كيف ما قلّبتها دعتك إلى نفسها، وإن خصال الشر كحسك السعدان أتّى وجّهتها نهتك عن مسها"**[1] المتعد بين أمرين متباعدين وجنسين غير متقاربين، ودلالة على التشبيه بالإشارة وبرهان منزه عن الغرابة والإستحسان **"خصال الخير وتفاح لبنان، خصال الشر وحسك السعدان"** قصد إبتغاء الغاية المرجوة من تصوير المقتطف الفني وتقريبه للمستمع ومخاطبته بالطريقة التي تليق به إن كان منكرا مترددا في تقبل الحقيقة والصافات المتواردة في مقام حديثه، والتشبيه المجمل في مقامة العزلة **"وإفتنّ في الأحاديث كحاطب الليل، وإستنّ في الأكاذيب كعائر الخيل"**[2] فإستوفى جميع الأركان فيه ماعدا وجه الشبه "الكاف: أداة التشبيه **"وافتنّ في الأحاديث واستنّ في الأكاذيب حاطب الليل _ عائر الخيل"**[3] كمشبه به: لبيان إمكانه ومقدار حاله وتشويه المشتبه وذمه ليكره ويرغب عنه.

ثم يليه باب الإستعارات في مقامة الفرقان **"أكرم نجيّك هذا"** حيث صرح بالمشبه به **"نجيّك"** بمعنى قرآنك وغاب المشبه **"ضيفك"** والإبقاء على القرينة اللازمة "أكرم" على سبيل الإستعارة التصريحية.

وكذلك دواليه في مقامة الطاعة **"ثم خرج من الدنيا"**[4] حيث حضر المشبه **"الدنيا"** وغاب المشبه به **"البيت"** وأورد القرينة التي لوّنت القول **"خرج من"** على سبيل الإستعارة المكنية، **"سقى الله أصداء قوم"**[5] إستعارة مكنية حيث شبّه الزمخشري **"الأصداء"** بالغيث

[1]– المدونة، ص 3

[2]– المدونة، ص 14

[3]– المدونة، ص 32.

[4]– المدونة، ص 9

[5]– المدونة، ص 3

أي **"سقى الله أرض قوم بالغيث"** لتوضيح وبيان غرضه بواسطة القرينة الملازمة له "سقى الله" **"ترشق بسهامهم الأغراض"** في مقامة العزلة، فليس المستعار منه ليفهم به قذف الغير بسهام الحروب، إنما إقتفاء وتَتَبُّعِ أغراض العباد وإحصائها فعمد إلى إثبات الشبه **"الأغراض"** بدل **"الأعداد"** فلا يكون مخبره على خلاف خبره.

ويليها السجع المختزل بشكل مكثف ومنه في مقامة الطاعة في قوله: **"أدر عينيك في وجود الصلاح لتعلق أصلها، لا في وجود الملاح لتعشق أصبحها"**[1] وكان هدفه مطابقة الكلام لتمام المراد منه وإتفاق ألفاظه المتضادة في اللفظ ومعناه لجلاء الصورة البيانية للقارئ ببديع إنشائها، وفي مقامة التهجد **'إغسل درن الرياء عن صفحاته وإحترس أن يصيبه التكلف بنفحاته، إقصد به وجهه دون سائر المقاصد، تقعد مما ترجو من فواضله بالمراصد"**[2] وفي مقامة الطاعة **"ولم ينقذه من قابض الروح، إعتصامه بالصروح ولم يخلصه من الإستكانة من القبور، تجبره في القصور"**[3]، فقد لعبت الأساليب البلاغية دورا في الحضور المنهجي التداولي لإثراء المكامن المقامية داخل المقامات.

[1]– المدونة، ص 14

[2]– المدونة، ص 9

[3]– المدونة، ص 24

خاتمـــة

أتاحت لنا هذه الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي الوقوف على جملة من النتائج المستخلصة، نحصرها في النقاط التالية:

1. التداولية مكسب نقدي وإمكان تأويلي تتعدى فرضية "لا طاعة لمنهج في معصية نص" وأصبحت الحاضن المنهاجوي الأكبر الذي يستضيف آفاقا مأهولة ومسكونة بالمقروء اللغوي والسيميائي والثقافي في شتى الخطابات مهما بلغت أنماطها وخصوصيتها وحمولاتها أكانت دينية أو سياسية أو إعلامية أو حجاجية، ما دامت اللغة تعمل صنيعها في إستنطاق المخبوء الجوهري من المحتمل والممكن وممكن الإنجاز عن طريق تهيئة عواضل كينونتها التطبيقية التي تسعى لإضاءة المعاني، فهي تشرح النص المعطى أمامها بإعطاء كلمات بديلة لنفس المعاني الظاهرة لتمنحها حصانة ترتفع بها فوق الكلمة المحيطة بالتوزيع اللغوي المشيّد في البصمة الإبداعية المرصودة.

2. سعت التداولية إلى مقاربة النص الأدبي بعد سابق الإنفراج بالعملية النقدية من أطياف إيديولوجية وتاريخية ومرايا التنفسن التي إنطوت على المبالغة بالجزئيات الجذرية والعرقية والطبقية للأديب لكي تقبض على السياق والظروف والمؤثرات الخارجية التي تزن ذاتية الأديب على حساب النص الأدبي، رِيدَ به النهوض ببعثة الموضوع السردي وإحيائه من جديد منذ إجتهادات الشكلانيين الروس النظرية ودعوتهم إلى ضرورة ميلاد علم جديد يعنى بأدبية الأدب فأسموه "البوطيقيا الجديدة" وأعمال تودوروف بعدما ترجم النمذجيات "الطراز الجديد" للمشاريع النقدية الإستراتيجية التركيبية والدلالية وتمفصلاتها الرافدة لها "اللفظ وأحادية المعنى – القيمة المهيمنة – التغريب – الفونيمية" للمخلفات الروسية وشعرياتها للمدرسة الشكلانية باللغة الفرنسية، والتي إلتقت مع مقترح فلاديمير بروب في الحكاية الغرائبية / العجائبية ووصولا للسرديات، إضافة لسيميوطيقيا السرد التي تمر من دائرة الوظائفية المتصلة المنفلتة اللامحددة إلى وجودها العيني المحدد "الصيرورة المفتوحة والمنغلقة" فلسانيات النص التي تشتمل على المعايير النصية التي تساهم في إتساق وإنسجام

النصوص والتي تَتَّحِد في النصية التي تتكلم عن أمور تتجاوز إطار الجملة الواحدة، بالنسبة للمكونات المتورطة بها، مرورا بإجتهادات الأنثروبولوجي كلود ليفي شتراوس ثم غريماس مع نظرية العامل التي تطفو على البرمجة السردية والمربع السردي المضاد والقابل المتعدد التأويلي الثنائي، فنجد أن السرد قي حظي بإشتغال متميز على مستوياته اللفظية والحركية والصورية وبذلك تعددت المقاربات وإختلفت بإختلاف وإقتضاء المدارس ونقادها والإختصاصات، كما لم نغفل عن السردية العربية التي إنبثقت من رحم التراث القديم والأصول الدينية ومنابعها الفنية في خلقها التي وجهتها لتقويم العناصر المبنية في بداياتها من الراوي والمروي والمروي له، الشخصية بدءا بالأحاديث النبوية والوصايا، وأُضِيفَ عنصري الزمان والمكان كطرحين مستحدثين قد تجذرا من المقامات والمنامات والرسائل الإخوانية والديوانية والحكايات للتحقق من صحة أو بطلان الوقائع ومجريات الأحداث ليتعدى السرد المحطات النهضوية التي نجمت عنها التأثر الإيجابي بالبذل الأدبي وإنصياع العرب لتقليد الغرب مما فتح المجال نحو مكاشفة ألوان سردية حديثة وفي مقدمتها الرواية والقصة اللذان إعتبرا حِلْيَتَيْ الكتابة السردية وطابعها المكثف المداوم نحو رحابة التقاليد وملامسات التجريب وغواية البحث عن مغزى المغزى "الأثر المفتوح كما في النهايات التي تشرك المتلقي في التنبؤ بها وبمصائر شخصياتها".

3. تقمصت التداولية ترجمات عدة تولتها الوسائط الناقلة بتعريفها لتورق بإستنتاجات مصطلحية منها: ترجمة زكي نجيب محمود للكلمة بالإجترار الدقيق الأجنبي لها وللواقعية داخل قطب الفلسفة البراغماتية "النفعية" أما داخل أفرع الدراسات اللسانية: بتداوليات واللسانية التداولية عند: طه عبد الرحمان.

4. إنتهجت مقامات جار الله الزمخشري التكافؤ الأدبي وإتعظت بأنموذج الضراعة الإسلامية كي تستأثر بالمحتوى المدوّن وتبث فيه الحس الشرعي الحكيم لتذليل حمم الغوائل التي تتحامل على دين الله الحنيف، لذا عمد صاحبها لإقحام درر المعاجم اللغوية من

بيبليوغرافيا التراث العربي الإسلامي "القصص القرآني وسيرة المهتدي وأخبار الأمم وكلامها الجزل وأحاديثها وإصطباغ الصور البيانية والقرائن اللغوية والروابط المنطقية بها التي تسعف توظيفه الخصب إلهاما منكمشا في تقانية عطاءه العلمي والفقهي المسوّغ وتجويدها بالإيقاع المنتظم التي حملت كنية التحفة النضرة.

5. لقد إستتبعت المفاهيم الإرتكازية التداولية "الأفعال الكلامية، الإشاريات، المقصدية، السياق" البيان المقاماتي الذي لم يَخْلُ من الملابسات الروحية والنفسية والإجتماعية كُمُونَ الرمز الإشاري الذي إمتطى الأظرفة والضمائر والتزامنية ومناسبات المسافة الفاصلة بين المعنى الحرفية "اللغة القواعدية" والمعنى التواصلي "اللغة الطبيعية" للتفريق بين التقرير والإستعارة والمرجعية في رحابة المقام الكلامي، فهذا الذي أسدل لُبَّ الومضة الفعلية لإنجاح الذكاء التداولي على المادة النثرية.

6. إمتاز فن المقامات في أوج عصوره بالصنعة المملوءة بالأجناس –السجع – البديع وغلبة الغرابة على ألفاظها، كما يختار لها كاتبها بطلا تدور حوادثها حوله، وراو يروي الأحداث، تدور أغلبها حول الطواف بالبلدان والإحتيال، إلا مقامات الزمخشري ومقامات ابن قتيبة "عيون الأخبار" التي إكتست حلة الزهد والتعبد ومقامات الزمخشري التي مثلت تيّارا مختلفا لخلوها من الراوي والبطل والرحلة والإغتراب وإنعزامها إلى الحوار الداخلي / الخارجي.

7. لقد بسطت تفريعات الأفعال الكلامية ومتوالياتها المنضوية على المنظومة النثرية التي إحتضنتها العبارات الإخبارية والإنشائية المجانبة للمحيط الخارجي الذي يعرف ويقاس بالعرف اللغوي والإجتماعي ويعبر عن المواقف النفسية التي يتوافر فيها الإخلاص وأفعال التوجيه للإتصال المشروط بإذعان المستقبل وتوجيهه صوب فعل أو نشاط معين "الرغبة، الإرادة، المفاضلة" والإستثارة بمواقفها، وفي كلامنا عن الإشاريات فقد إمتثلت أمام مشيرات

صريحة واضحة زمكانية "الهنا: المكان الذي ينجز فيه الخطاب، الأنا: الحين: الزمن الذي أنجز فيه الخطاب، وضميرية مع الأنا والأنت المتكلم الذي صدر عنه الخطاب، وينتهي للمخاطب المشار له بالغاية المرسلة والهو، هم، هاء التأنيث عن حيز متتابع أو عائد على عوامل جملة ما: قد إستنجل "ضمّ" به التورية المنسكبة لإيهام البعيد أو القريب، أو المعلوم، الحاضر، الغائب، البعيد، القريب" التي برزت في النصوص المسنودة للزمخشري وضمنية متحفظة في المكون البلاغي، فالجزء يتضمن الكل والكل يتضمن الجزء، بينما المقصدية عالجت الغرض المنطوق حقيقة أو إضافة أولاهما تابعة لطلب المتكلم وإراداته والثانية منتقاة لفهم المتلقي وإدراكه وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بمنزلة الألفاظ بحسب تباينه وإشتماله التأملي وموقفه من اللغة ونظامها الرمزي والعلاماتي، ثم يستحضر السياق الذي أتى في مقتضى دلالة الكلمات من الشروط المسبقة داخل القول المستعمل ووظفه الزمخشري في معتقدات المخاطب السابقة والمستقبلية التي تداوره في الأقوال اللاحقة التي صوّرها بشكل صادق في مسارب مقاماته.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، المقامات، طبعة جديدة ومشروحة ومنقحة ومقابلة على عدة نشخ ومخطوطات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، مج 1، 1402 هـ - 1982م.

ثانيا: المراجع بالعربية:

2. إبراهيم عبد الله، السردية العربية الحديثة – الأبنية السردية والدلالية، دار الفارس للنشر والتوزيع،ج3، ط1، بيروت، لبنان، 2013.

3. إبراهيم عبد الله، النثر العربي القديم – بحث في البنية السردية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، د.ط، الدوحة، قطر، 2002.

4. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار إبن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 1423 هـ/2002م، الباب 15،

5. بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجلفة، الجزائر، 2009.

6. تمام جواد، التداولية أصولها وإتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1437هـ/2016م.

7. حسان تمام، إجتهادات لغوية، عالم الكتب للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2007.

8. حليفي شعيب، الرؤية في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006.

9. حمداوي جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 2015.

10. حمداوي جميل،الإتجاهات السيميوطيقية – التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية ،شبكة الألوكة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،المغرب، 2015.

11. الركيبي عبد الله، تطور النثر الجزائري الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، ط2، تونس، 1976.

12. صحراوي إبراهيم، السرد العربي القديم، – الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، 1987.

13. صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، بيروت، لبنان، 2005.

14. الصفدي ركان، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري، الهيئة العامة السورية للكتب، ط1، دمشق، سوريا، 2001.

15. ضيف شوقي، المقامة، دار المعارف للنشر، ط3، القاهرة، مصر، 1983.

16. عبد الرحمان طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي للنشر، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2007.

17. العطوي مسعد بن عيد، الأدب العربي الحديث، دار الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430 هـ/2009م.

18. عكاشة محمود، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2013.

19. علم حسام محمد ، دراسات في النثر العباسي، جامعة الأزهر، ط4، القاهرة، مصر، 2007–2008.

20. العمري محمد، بلاغة الخطاب الإقناعي –مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول أنموذجا)، إفريقيا الشرق، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

21. عوض يوسف نور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، ط1، بيروت، لبنان، 1979.

22. لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991.

23. مبروك مراد عبد الرحمان، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة – التحفيز نموذجا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، مصر، 2002.

24. مرتاض عبد المالك، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1988.

25. مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، علام المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1442هـ/1992م.

26. يقطين سعيد، السرد العربي – مفاهيم وتجليات، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2006.

27. يقطين سعيد، الكلام والخبر – مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

المراجع المترجمة إلى العربية

28. بولان إلفي، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة محمد تنفو، ليلى إحمياني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2018.

29. بووي أندرو، الفلسفة الألمانية (مقدمة قصيرة جدا)،تر محمد عبد الرحمن سلامة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1 القاهرة، مصر، 2015.

30. جيمس وليام، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، تق: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2008.

31. جينيت جيرار، خطاب الحكاية ، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلا، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، د.ب.ن، 2000.

32. مونفريد يان، علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد، تر: أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2011.

2. المجلات والدوريات

33. بن علي خلف الله، التداولية مقدمة عامة، مجلة إتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 14، العدد 1، 2015/10/25.

34. بولي فرحات، التداولية في المعاجم العربية (قراءة في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بوقرة)، مجلة الممارسات اللغوية، المركز الجامعي بالبويرة، العدد الخامس، 2011.

35. مجينطة عبد الحق، الأصول الإبستيمولوجية للنظرية السردية، مجلة أيقونات، مج: 6، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2018.

36. مختار ملاس، البلاغة والتداولية "قراءة في تداولية الخطاب البلاغي"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة سطيف، العدد 8، أبريل 2011.

2. المعاجم والقواميس:

37. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار صادر، ط4، بيروت، لبنان، مج 07، مادة (سرد)، 2005، ج1.

38. برنس جيرالد، المصطلح السردي – معجم المصطلحات، تر: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003.

39. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، مصر، 2004.

40. وهبة مجدي، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

3. المواقع الإلكترونية

41. http// :www.thakafet.com/

الملاحق

الملحق رقم (01): بيوغرافيا خاصة بالزمخشري

ولد الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي بتاريخ رجب 467 هـ الموفق لـ 1074 م في زمخشر وينتسب الزمخشري إلى بلد زمخشر في إقليم خوارزم، ذلك الإقليم الذي كان ينعم بالخيرات والعمران وإنتشار الثقافة وكثرة العلماء والمفكرين، وشيع فيه الإعتزال الذي تمتد جذوره إلى أصول فكرية مستمدة من العقيدة الإسلامية، ويستند إلى سلطان العقل وقوة الحجة التي إكتسبها من الفلسفة والمنطق اليونانيين.

وكانت الفترة الزمنية التي ثاب فيها إلى نفسه فترة غنية في التصنيف والتحصيل العلمي، فقد صنف بها كتابيه "الكشاف والمفصل والأنموذج: كتابان في النحو العربي" الذين أشهراه وأعليا ذكره بين علماء عصره ومن بعدهم، وصنف فيها أيضا جل مؤلفاته وأشهرها كالمقامات وأطواق الذهب ومقدمة الأدب والرسائل وغيرها، فأصبح شخصية إسلامية متميزة، إتخذ من العقيدة الإسلامية قاعدة فكرية تبنى عليها أفكاره، وتوقدت ذهنيته وجادت قريحته وكون على أساسها مفاهيمه عن الحياة، فتكونت عقليته على أساس هذه العقيدة، ووجد لديه مقياس صحيح للأفكار ثم جعل ميوله كلها على أساس المبدأ الإسلامي، فتمكن الإسلام من شغاف قلبه وتحكم في سلوكه وتصرفاته، فكان من الورع وقيام الليل وتدريس العلم في الرتبة العليا.

فوقعت بعض آرائه النحوية تحت تأثير مذهب الإعتزال إذ وجه هذه الآراء توجيها يتفق مع وجهة نظره الإعتزالية وتظهر على كتابه "المفصل" مسحة من منهج المعتزلة في البحث العلمي تنظيما وتقسيما ومنهجا وإعتماده على القياس وغيره من أدلة الصناعة في أثناء معالجة المسائل النحوية.

أخذ أبو القاسم العلم عن بعض أعلام العلماء في عصره، وقد وهم ياقوت في معجم الأدباء وتبعه السيوطي في بغية الوعاة حين ذكر أن الزمخشري أخذ عن أبي الحسن علي بن

المظفر النيسابوري، ذلك أن هذا العالم مات سنة 422 هـــ، بينما ولد الزمخشري سنة 467 هـــ، ووهِمَا في إسمه أيضا، فهو يذكر في ترجمته بإسم: أبي الحسن علي بن المظفر، ثم يترجم بإسم: الحسن المظفر.

توفي جار الله ليلة عرفة 538 هـــ الموافق ليـــ 1143 م، تاركا وراءه مكتبة عظيمة نهل منها ما إستطاع الباحثين والمتفرغين في الدراسات القرآنية والحديث النبوي والقدسي والأدباء بصفة خاصة فيما يتعلق بالقوالب الفنية والجمالية التي طرزت بها مقاماته التي خطها على نحو جريان إسلامي وبابي النحو والبلاغة اللذان أفردا للدراسة اللسانية والنماذج التطبيقية والتقعيدية

كما عرف أنه شخصية علمية فذة، اتضحت ملامحها وأبعادها كـــ:

– طريقة عرضه لمادته العلمية، وبراعته في تنسيقها وتنظيمها بحيث تبدو سهلة لتناول الميسور من الفهم.

– قدرته على تحليل مادته النحوية والصرفية، وبراعته في إصدار أحكامها.

– إفراغه طاقة عقلية ممتازة في الاستنباط والتعليل والتوجيه، مستدركا كل من سبقوه، ومبتكرا عللا جديدة.

– أمانته العلمية التي تجلت في نسبة الآراء التي يسوقها إلى أصحابها في الأغلب الأعم

– الآراء النحوية المبتكرة التي توصل إليها باجتهاده وسعة اطلاعه وتمكّنه من خاصية اللغة.

الملحق رقم (02): مقامة المراشد

مقامة المراشد

يا أبا القاسم إنّ خصالَ الخيرِ كتفاحِ لبنانْ. كيفَ ما قلبتها دعتكَ إلى نفسها. وإنّ خصالَ السوءِ كحسَكِ السّعدانِ أنّى وجهتها نهتْكَ عنْ مسّها. فعليكَ بالخيرِ إن أردتَ الرُّقولَ في مطارفِ العزّ الأقعسْ وإياكَ والشرّ فإنّ صاحبَهُ ملتفٌّ في أطمارِ الأذلّ الأتعسْ. أقبلْ على نفسكَ فسُمها النظرَ في العواقبْ. وبصّرْها عاقبةَ الحذرِ المُراقبْ. وناغِها بالتذكرةِ المادية إلى المَراشدْ. ونادها إلى العملِ الرّافعِ والكلمِ الصاعدْ. وألجمها عمّا يكلمُ دينها. ويثلمُ يقينها. وحاسبها قبلَ أنْ تُحاسَبْ وعاتبْها قبل أن تُعاتب. وأخلصِ اليقينَ. وخالصِ المتقينْ. وامشِ في جادّةِ الهادينَ الدّالينْ. وخالفْ عنْ بُنيّاتِ طرُقِ العادينَ الضالينْ. واعلمْ أنّ الحاملَ على الضلالْ. صِل اصلالْ. لسعتُهُ لا ينفعُكَ منها الرّقي. إلا إذا كانت رُقيتك التقى. سَقى اللّه أصداءَ قومٍ هفَوْا ثم انتعشوا. وجدوًّا فيما أجدَى عليهمْ وانكمشوا ويحكَ إخلطْ نفسك بغمارهمْ. واحملها على شقّ غُبارهم. فعسيتَ بفضلِ اللّه تنجو. وتفوزُ ببعضِ ما ترْجو.

الملحق رقم (03): مقامة الطاعة

مقامة الطاعة

يا أبا القاسم تبتلْ إلى اللّه وخَلْ ذكرَ الحَصرِ المَبتلْ ورتّل القرآنَ وعَدْ عنْ صفة الثغرِ المرَتل. أدرْ عينيكَ في وجوهِ الصّلاحِ لتعلقَ أصلحَها. لا في وجوهِ الملاحِ لتعشقَ أصبحها. وابكِ على ما مضى في غيرِ طاعةِ اللّه من شبابكَ. ودَعِ البكاءَ على الظاعنينَ منْ أحبابك. وعليكَ بآثارِ منَ قبلكَ ممن تعزّزَ بالبُروجِ المشيدَة واعتصمَ بالصُّروحِ الممرّدة. وتجبرَ في القصورِ المنجدَة. ثمّ خرجَ من الدُّنيا راغماً لم يُنجه منَ الإذعان لمذلّة الخروج. تعززهُ بالبروج. ولمْ ينقذه من قابض الروح. اعتصامه بالصروح ولم يخلّصهُ من الاستكانة في القبور. تجبرُهُ في القصور. قف على أطلالها بالتأوه والاستعبارْ ولا يكونَنّ تأوّهُك واستعبارُكَ إلاّ للتذكر والاعتبار. ولا تستوقف الركبَ في أوطان سلمَى ومنازل سُعدَى فُقترحاً عليهم أن يُساعدوكَ بالقلوبِ والعُيون. ويساعفوك ببذلِ ذخائرِ الشؤون. متردّداً في العراصِ والملاعبْ. متلدّداً في مساحبِ أذيالِ الكواعبْ. تقولُ أينَ أيامُنا بجزْوى ومَن لنا بليالي العقيقِ واللّوى. حسبُكَ ما أوضعتَ من مطايا الجهلِ في سُبلِ الهوى. وما سرَتْ من ركابِ الضّلالِ في تنيّاتِ الصبا. مالكَ لا تحُلّ عنها أحمالَك. ولا تحُطّ عنْ ظُهورها أثقالَك. ألقِ حبالها على غواربها. واضربْ في وُجوهها تطرْ إلى مساربها. وأدِبْ نفسَكَ في سُبُلِ اللّه فطالما أرحتَها على مضاجعِ الشيطان. وأحمضها فقد حانَ لها أن تسأمَ من خُلةِ العصيان.

الملحق رقم (04): مقامة العزلة

يا أبا القاسم أزلْ نفسَك عن صحبة الناس واعزلها. وائت فرْعةً من فِراع الجبل فانزلها. ولُذْ ببعض الكُهوف والغيران. بعيداً منَ الرفقاء والجيران. حيثُ لا تُعلّقُ طرفكَ إلا بسوادك. ولا تجري مؤامرتَكَ إلا مع فؤادكْ. ولا توصلْ إلى سمعكَ إلا همسَكَ ومُناجاتك. وإلا جُؤارَكَ ومُناداتك. ولا تفطُنْ لعيب أحد سوى عيبك. ولا يهمكَ إلا دنسُ رُدْنيكَ وجيبك. قاتلَ اللّهُ بني هذه الأيام. فإنهمْ طلائعُ الشرور والآثام. لقاهمْ لقاءٌ وحوارُهم غوار. ونقالُهم نقارْ. ووفُاقهم نفاقٌ تسلق بألسنتهم الأعراض. كما ترشقُ بسهامهم الأغراض. تجمَعُ النّدوةَ كبارَهم فلا يتواصَوْنَ بالصبر بلْ يتناصَوْن على الصّدر. ولا يتشاوَرونَ في حسم الفساد. كما يتساورُون على قسم الوساد. إنْ آنسوكَ جمدْتَ الوحشة. وإن جالسوكَ ودَدْتَ الوَحدة. بينا أنتَ في خلواتكَ وانفرادك مُكبّاً على أحزابكَ وأورادك. مرَدّداً فكرَكَ كما يجبُ فيه ترديدُه. مجدّداً ذكرَ اللّه الذي لا ينبغي إلا تجديدُه. مُشتغلاً بخويصة نفسكَ وما يعنيك. عاكفاً على ما يدعوكَ إلى الخيرِ ويُدنيك. ويلفتُكَ عن الشرِ ويثنيك. إذ فوجئتَ بمُثافنة بعضهم. من الذينَ أخذكَ اللّهُ ببغضهم. فضربَ بينكَ وبينَ ما كنتَ فيه بأسداد. ورماكَ بأمور من تلكَ الأول بأصداد. وافتنّ في الأحاديث كحاطب الليلْ. واستنّ في الأكاذيب كعائر الخيلْ ملقياً أسبابَ الفتنِ بين يدي افتنانه. مخلّفاً للآداب والسنن وراءَ استنانه. لا يدفعُ في صدره من حياء دافعْ. ولا يزَعهُ من دين حق وازع. ولا يرعُه من عرق صدق نازع. فإذا أنشأ يأكلُ لحمَ أخيه بالنقيصة والثلب. ويلغُ في دمه الحرامِ وُلوغَ الكلب. ويصوّبُ ويصعّدُ في تمزيق فروته. ويقومُ ويقعدُ في قرعِ مروته. ويخلطُ ذلكَ باستهزاء متتابع. واستغراب متدافع. لم يملكْ حينئذ عنانهْ. ولم يُثبطْ عن استهزائه جنانه فإن لم تُقبل عليه بوجهكَ وصفكَ بالكبرياءْ. وإن لم ترعه سمعكَ نسبكَ إلى الرّياءْ مسجّلاً عليكَ بالشكاسة والكزازةْ. وناهضاً عنكَ بملءْ الصدرِ منَ الحزازة. وإن أعطيتهُ من نفسكَ ما يريد فكلاكما والشيطانُ المريد. قد جرى أحدُكما في طلقِ الضلال والثاني رسيلُه. واستوى الأولُ على صهوة الباطل والآخرُ زميلهُ. بل استبقتُما إلى غاية الغواية فُعنقينْ. وترديتما في هُوّة الرّدى معتنقينْ. فيالها محنةً ما أضرّها ويا لها فتنةً وقى اللّهُ شرّها.

الإنسُ مشتقٌ منَ الإنسِ ... والأنسُ أن تنأى عنِ الإنسِ.

ثيابهمْ مُلسٌ ولكنها ... على ذئاب منهمُ طُلسِ.

نفسَك فاغنمها وشرّد بها ... عنْهم وقُلْ أفلتِ يا نفسِ.

إنْ لمْ تشرّدْها تجدْها لقىً ... للفَرْسِ بينَ الظفْرِ والضّرْسِ.

الملحق رقم (05): مقامة التهجد

مقامة التهجد

يا أبا القاسم أكرَمُ النفوس أتقاها. وخيرُ الأعمال أنقاها فليكنْ عَمَلُكَ نقيّاً ناصعاً وجيبُكَ في ذات الله تعالى ناصحاً لا تكُن العاملَ الأخرَقَ الذي يأفُلُ بعمله حوْزَ الثّواب. والفوزَ في المآب. ثمّ يخيسُ آخرَ الأمرِ بأمله. إنّهُ كانَ لا يكيسُ في تنقية عمله. عملُكَ للملك القُدوس فائت به مُقدّساً. وحاذرْ أن يجيءَ ما توجهَ إليه مُدنساً. اغسل دَرَنَ الرّياء عن صفحاته واحترس أن يُصيبهُ التكلفُ بنفحاته اقصد به وجههُ دونَ سائر المقاصد. تقعّد ممّا تَرجو من فواضله بالمراصد. أصفه فلَن يقبلَ منكَ إلا الأصفى. وأخفِ دعاءَهُ فقد أمرَكَ بالإخفا. وترقبْ به جُنحَ الليل إذا أسدَلَ جناحهُ وأسدَفَ وأرخَى قناعَهُ وأغْدَقَ. وضرَبَ السباتُ على الآذانْ. وخيطَ مَلاقي الأجفان ولفّ صَرْعاهُ في الأكفانْ. وبقيتَ كأنّكَ وحدَكَ على الصّعيد ليس لكَ ما خَلا القعيدين من قَعيد. لا تشعرُ حركةً ولا حسّا ولا تسمَعُ ركزاً لا وهْساً. واستبدل حينئذ تهجدُكَ من هُجودكَ واعقد عينيكَ بموقع سُجودكَ واخشعْ لَمنْ تخشعَ له الملائكةُ في سمواته. واخشَ الذّي تخشى السمواتُ سطَواته. وارحَم اجفانَك أن يتشبثْ النعاسُ بمَلاقيها. وخليها والبُكاء وإن قرِحتْ مآقيها. ابكِ على ما حملتَ من أوزارِكَ وخطاياك وما

رحلتَ معَ أشياعِ الجهلِ من مطاياك. وتضرّعْ إلى ربّكَ وتصوّر واستجِر عائذاً به واجأر. فرُبّ تنزلَ بتصويره وجؤاره في الحرَمِ الآمنِ من كريم جواره.

الملحق رقم (06): مقامة الفرقان

مقامة الفرقان

يا أبا القاسم اجعَلْ كتابَ اللّه نَجيّكَ فَنعمَ النّجي. وإنّكَ لَحَريٌّ بمُناجاته حَجي. إنْ شئتَ أنْ يُخاصِرَكَ إلى مَنجاتك فلا يَخلُونَّ ساعةً مِنْ مُناجاتك وهوَ حبلُ اللّه المتينْ وصراطُهُ المُستبينْ به أحيَى رُسُومَ الشّرْعِ الطّامسَه وجَلّى ظُلُمات الشّرك الدّامسة نُورٌ مُستَصْبَحٌ به في ليالي الشّكْ سيفٌ سَقاطٌ وراءَ ضرائب الشّرْكْ جَبَلٌ يَعصِمُ مَن اعتصمَ بمعاقله ويَقصِمُ ظَهرَ العادل عنهُ بجَدَله. بحرٌ لُجيٌّ لا تزلُ تزْخَرُ لُجَجُه. ذُو عُباب يُرَوِّعُ التطامُهُ وتموجُه لا يبلُغُ عابرٌ عَبرَه. ولا غائصٌ قعرَه عَذْبٌ فُرَاتٌ إلا أنّه مُليءَ بكُلِّ لُؤلُؤة يتيمَة قَذَافٌ لكُلِّ جَوْهَرَة كَرِيمَة. أينَ منها ما غَالى به الأكاسرَةُ من الفرائدْ. وما رَصّعُوا به تيجانَهُم مِنْ وسائط القلائدْ. كُلُّ دُرّة في تقاصيرِ بنات القصورْ مُقِرّةٌ بالتقصيرِ عنها والقصورْ. إنْ عُدّتْ عجائبُ البحارِ لم تُعَدّ عجائبُه وإنْ حُدّتْ غرائبُ الأسمارِ لم تُحدّ غرائبُهْ كُلّما ذهبتَ بفكرِكَ في بلاغته التي حَصِرتْ دونَها البُلغاءْ حتى سَخِرتْ مِنْ فُصَاحتهم البُغاءْ ونَظَرْتَ في سَلاسَة سَبكه المستغرَبْ. وسلاسَة مائه المُستعذَبْ. ورَصانَة نظمه المُرَصّفْ ومتانَة نسجه المُفَوّفْ. وغرابَة كنايته ومجازهْ ونُدْرَة إشباعه وإيجازه وروْعَة إظهاره وإضْمارهْ وبَهجَة حُذْفه وتكرارهْ. وإصابَة تعريفه وتنكيرهْ

وإفادَة تقديمه وتأخيرهْ ودلالة إيضاحه وتصريحهْ. ودقّة تعريضه وتَلويحه وطُلاوَة مَباديه ومقاطعه وفصوله ووصوله وما تناصَرَ فيه من فروعِ البيان وأصولهْ. إرْتَدّ فَهمُكَ وغرارُ كَهام ومِدْرارُهُ جهامْ. حَيرَةً في أسلوبه الذي يكادُ يسلُب بُحسنه العاقلَ فطنَتَهُ وهوَ يزيدُهُ فطنَهْ. وافتنانه الذي يكادُ يفتنُ الناظرَ فيه وهوَ يحيطُ عنهُ الفتنَهْ. لم يمشِ إليكَ وعدُهُ المرَغّبْ إلا واطئاً عقبَهُ وَعيدُهُ المُرهّبْ قدْ شُفِعَ هذا بذاكَ إرادَة تنشيطكَ لكسبِ ما يُزْلِفْ. وتثبيطكَ عن اكتسابِ ما يُتلِفْ مَعَ اقْتصاصِ ما أجْرَى إليه عُصاةُ القُرُونْ وما جَرَى عليهم مِنْ فظائعِ الشؤونْ وما رَكِبَ أعْدَاءُ اللّه مِنْ أوْليائهْ. غَيْرَ مُكْترثينَ لعُتُوّهِمْ بكبريائهْ. رَدَعوهُمْ عن المناكرْ فَقَطّعُوهُمْ بالمناشرْ وَدَعَوهُمْ إلى أعْمالِ الأبْرارْ فعرّضُوهُمْ على السّيفِ وحَرّقُوهُمْ بالنارْ ثمّ اصْطَبَرُوا لوَجْهِ اللّه وثبتُوا وما استكانُوا لهُمْ ولا أخْبَتُوا حتى اشتروُا النعيمَ الخالدَ في جَنّات عَدْنْ بيؤسٍ وَطئوا عليه أنْفُسَهُمْ طَرْفَةَ عَيْنْ ليريكَ سُوءَ مُنْقَلَبِ المُعْتدينْ ويُبصّرَكَ حُسْنَ عَواقبِ المُهتدينْ فحادتْ لسانكَ بدراسته حتى تَرِقّ عذْبَتُهُ وَمَرّتُهُ على تلاوَته حتى لا تَطُوعَ لغَيْره أسلَتُهُ وتَعمّدهُ بمَتْلُوّه مِنَ اللسْنِ ما ساعَدَتْكَ عليه المَكْنَهْ وتَرَفّعْ لهُ بمَخارجِ الحُرُوف عن ارْتصاخِ اللكْنَهْ وَاقْرَأْهُ مُرَتّلاً كالترْتيلِ في بعْضِ الأسْنانْ والتفْليجِ في نَوْرِ الأقْحُوَانْ وَاجْتَنِبْ ما لا يُؤْمَنُ في المِذْ والمَذْرَمَهْ. مِنَ اللّحْنِ والخَصْرَمَه وْاجْتَهِدْ أنْ لا تَقْرَأَ إلا وضَميرُكَ مُقَاوِدٌ للسانكْ وَتَبيتُكَ مُساوِقٌ لبَيانكْ لا تَمُرّ على جُمْلَة إلا عاقداً بمُناها تأمّلَكَ وتَفَكّرُكَ عاكفاً على مُؤَادّها تَفَهُمَكَ وتَبصُرَكَ مُجيلاً في حقيقتها بَصيرَتَكَ ونظرَكَ. مُمْتاحاً منها مَواعظَكَ وَعبَرَكَ وإلا كانتْ قِراءَتُكَ رَاعدَةَ صَلفَةً لَيْسَ لَها دَرَرٌ وَصَدَفَةً فارغةً ما في جَوْفِها دُرَرٌ. وأكْرِمْ نَجيّكَ هذا فإنّهُ كَريمٌ يَسْتوْجِبُ غايةَ الإكرامْ وعظيمٌ يَسْتدْعي قُصارَى الإعظامْ. فلا تَمَسّ لَهُ إلا على طُهْرِكَ مَسْطُوراً وَاحْتَطْ أنْ لا تَفْرُقَ بين أنْ يكونَ مَكشوفاً أوْ مستوراً واحفَظْ فيه حَقّ مَنْ إلَيْه انتماؤهْ وَإلى اسْمه إضافَتُهُ تَبارَكَتْ أسْماؤه.